تأسست يونيو ٢٠٢٣

هنا

مجلة كل العرب

العدد 33

مارس 2026

السنة الثالثة



صلاح هزاع

عزيزة خالد السنيني

رائدة التعليم والعمل السياسي بالبادية



رئيس التحرير عيد وحيده

رئيس مجلس الإدارة عصمت ضيف الله الملمطاني



التقنيات المعاصرة وحروب الغيبيات والأديان

أ.د. عبد الله بن أحمد الفيفي



السادة الحاصلون على نجوم ذهبية

هلنا
مجلة كل العرب



د.عيد وحيده





م.محمود الفحام





أ.حسني جرامون





أ. ناجي بو المسمارية





د.خالد الزغيبي





أ. عبد الله أبو زوير





أ.د. إبراهيم العايش الاثري





. عبد الله لعشيبي





أ.د. حسن شعبان





أ. قدورة العجني





أ. صابرين الصباغ





د. رمضان ياسين





د. إبراهيم شعبان





نهنئ د. إبراهيم شعبان لحصوله
على النجمة الذهبية بمجلة هلنا





تعريف بالسادة كتاب هذا العدد

هلنا
مجلة كل العرب

د. إبراهيم شعبان



كبير مهندسي صناعة السفن

أ.د. إبراهيم العايش



أستاذ العلوم السياسية بجامعة سرت الليبية

م. محمود الفحام



شاعر - عضو اتحاد الكتاب- رئيس القسم الادبي بمجلة هلنا

أ. عبد الله لعشيبي



مدير الاثار الاسلامية والقبطية بمطروح

أ. ناجي بو المسمارية



عضو لجنة التراث بمطروح - رئيس قسم التراث البدوي بمجلة هلنا

أ. حسني جرامون



كاتب صحفي - رئيس القسم الاجتماعي بمجلة هلنا

أ. صلاح الدين هزاع



باحث كبير في الصحافة والإعلام

أ.د. عبد الله بن أحمد الفيفي



أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض - عضو مجلس شورى سابق بالمملكة العربية السعودية

د. جيهان الرفاعي



دكتوراة في الإرشاد الزراعي - مركز البحوث

د. علي المندلاوي



كاتب ومحلل سياسي

د. عيد وحيده



شيخ الصحفيين - رئيس التحرير بمجلة هلنا

م. عصمت ضيف الله



رئيس مجلس الإدارة

إقرأ في هذا العدد

هلا
مجلة كل العرب

رئيس التحرير
د. عيد وحيده

رئيس القسم الأدبي
م. محمود الفحام

رئيس القسم الإجتماعي
أ. حسني جرامون

رئيس قسم تراث البادية
المستشار ناجي بو المسمارية

رئيس قسم الشؤون الليبية
دكتور خالد الزغيبي

رئيس مجلس الإدارة
م. عصمت ضيف الله الملهطاني

تسريبات من مقر إبليس

١. كفر إبليس

في اجتماع عظيم، جمع إبليس وزراءه وأسياد قومه وعشيرته من الأبالسة والشياطين وملوك الجن المارقين، ليستمع منهم عن مجريات الغواية للبشر التي وعد بها رب العزة يوم رفض السجود لذلك المخلوق المهين، والذي أعلن احتقاره له علنًا أمام جمع الملائكة حيث قال: (وعزتك وجلالك لأغوينهم أجمعين) .

د. إبراهيم شعبان

في هذا الاجتماع، طلب من العشيرة ملخصًا وافيًا عن أعمالهم في الأرض، فحدث هرج ومرج في القاعة مع تمتمات غضب شديد. فاستشاط غضبًا، ضاربًا بكفه على المنضدة، مُخرسًا الجميع قائلاً: "لَتُخْبِرُونّي بِأَعْمَالِكُمْ وَغَوَايَاتِكُمْ لِلْبَشَرِ، وَإِلَّا فَالسَّجْنُ فِي قَمَاقِمَ فِي قَاعِ الْمُحِيطَاتِ، فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَخْلُوقٌ أَبَدًا".

هنا أبدى كبير الوزراء "مُتَهْتِهٍ" قائلاً: (أيها الرئيس العظيم، لقد كنا في سالف العصر والزمان متمكنين من هؤلاء البشر. حقبًا من الزمان عديدة مضت، رأينا منهم في بقعة تسمى "المحروسة" العجب العجاب! لقد تقدموا علينا فراسخ كثيرة في العبث والغواية، واستغلوا كتاب الله لإبعادنا عنهم أميالاً، بينما هم في شغل شاغل بالفحشاء والسرقة والنهب. وقد وصلوا إلى قدر من الخسة والتورية لم نصل إليه. صَوِّرْ سيدي الرئيس، أنهم اخترعوا شيئًا اسمه الرقابة على أعمالهم والرقابة على الآداب، ولكنهم تفوقوا عليهم وعلينا جميعًا في هذه المحروسة).

قال إبليس: "ما هذا الهراء الذي تقول؟ هل نحن عاجزون عن هؤلاء البلهاء؟ والله إني ذاهب إليهم لأرى أَصَدَقْتُمْ أم كنتم من الكاذبين". وهبط إبليس في أول نزول له إلى جمع من المكاتب والموظفين فيما يسمى بمقر أحد الأحياء الراقية، ودخل دون إذن إلى مكتب رئيس الحي.

وعلى الفور نفذ ما قاله لأعوانه، وها هو يراقب كل حركة وفعل وكلمة، وكل حركة من يده، ومن الداخل والخارج إلى المكتب، مشمئزًا مما يرى، متابعًا إياه حتى في التليفونات التي يطلع عليها أو يستقبلها. خرج إبليس إلى أعوانه في غضب شديد يَنْهِجُ كأن شيطانًا قد مسه، واضعًا يده على رأسه مرددًا بعفوية: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ!!) . ومحدثًا رجال التشريفة من الشياطين ويحكي لهم ما رأى:

(... الراجل دخل الصبح، قعد على مكتبه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، وشغل قرآن...... شوية سمعته بيضحك بسعادة في التليفون، وبعدين سَبَّ الدِّين للي يحدثه، والقرآن لسه شغال!... وأصبحت في حيرة من أمره...... بعد قليل دخل عليه شخص، ما يبدو أنه أحد المقاولين من رجال الأعمال. شوية وبيديله تلات رزم فئة الميت دولار، ورزمة فئة ٢٠٠ جنيه، قائلًا: (ياباشا، الرزمة الأخيرة دي مكافأة مني للسادة المهندسين اللي شقوا معانا... دي الدفعة الأولى... بس نطلع بالمبنى شوية، واللي عايز مكتب أو شقة يهلوا علينا... ويبقى فيه الدفعة التانية والتالتة). ومسك الفلوس بيبوسها وبقول: (الحمد لله... هذا من فضل ربي... فاحفظها من الزوال!!)...

لا يزال إبليس يحدثهم وهو في قمة الذهول...

بعدها كلم واحدة في التليفون وبيتفق معاها على الساعة خمسة يتقابلا في الشقة الخاصة به، بعيدًا عن القيل والقال، من أجل التدليك والدحرجة معًا وممارسة الحب... بس في آخر المكالمة لقيته بيقولها: (لا إله إلا الله)، وهي بترد عليه وتقول له: (محمد رسول الله، في حفظ الله... يا حبيبي)!! جابولي جلطة وشلل رعاش، ولاد الكلب! وجريت بسرعة....

انتظرت هنيهة، فإذا بذآن الظهر يَلْعَلَع في كل مكان. فقام صاحبنا، لبس الشبشب بتاعه من تحت المكتب، وتوضأ وصلى مع الموظفين، والجميع يسلمون عليه بعدها مكررين: (تقبل الله منك ياريس... والله أنت راجل مبارك، ومن يوم مجيت عندنا والخير بيجري في رجليك)... وما أن انتهى من صلاة الجماعة حتى لبس الشراب والجزمة، ودخلت عليه زميلته سوسو... (أيوه يا جميل، عملتنا إيه النهاردة؟ على فكرة بكرة تحبي تسهري معايا هنا بكرة من الساعة سبعة، ونخلص مع بعض أوراق إزالة الفيلا المقرفة دي، والمقاول مستعجل على البنا، وبالمرة ندردش في أحوالنا... بالمناسبة، الكنبة دي مريحة قوي وواسعة) هكذا قال مرحبًا بها وواعدًا، مع النظر إلى ما بين النهدين... وكان ردها مطمئنًا: (طبعًا... أنا كنت بفكر كده من فترة طويلة، الفيلا مواضيعها كتير ولازم تتحل على روقة... بس مافيش حد تاني، علشان كل واحد برأي... مش فيها بدل سهر ياريس برضه ولا إيه؟)

هو: (طبعًا بدل سهر، وبدل تعب، وبدل دلال يا جميل... وأنا شايفك موردة النهاردة... بس استأذني بدري علشان تريحي للسهرة، وممكن تطول شويتين). ولا يزال يسبح!!. وقال مكملاً: (ياريت تحطي البرفيوم اللي جبتهولك، علشان مراتي عندها نفس البرفيوم، ومتقليش الريحة دي جاتلك منين)...

وانتظرت حتى بدأ يغادر المكتب قائلاً: (كفاية كدة بقى، على قد فلوسهم)..

وبعدها اتصل بمراته في الموبايل وهو في الأسانسير قائلاً: (أنا زي الفل ياحبيبتي، بس طول النهار مطحون في الشغل. أدينا بنرضي ربنا علشان يباركلنا في الحلال... مش حقدر أجي النهاردة على الغدا، لأن عندي اجتماع الساعة خمسة، وهاروح أصلي العشاء جماعة، لأن فيه درس ديني مهم جدًا... نامي انتي يا حبيبتي..) ردت الزوجة: (بس مش كنت تيجي تريح شوية؟ زعلانة! أنا برضه عندي درس في الجامع الساعة سبعة، هودي العيال عند ماما).

(فكرت جدياً في التنازل عن تعنتي مع رب العزة، وأدعوه أن يقبل مني هذا التنازل... وأحج وأقضي بقية عمري في العبادة، والبركة في عيالي......)

الاسقاط السياسي في التعبيرات البدوية

أ.د . إبراهيم العايش

تعد سرعة البديهة وجرأة القريحة الحاضرة والغنية باللفظ القوي والمعبر عما يجول في البال والخاطر من أبرز صفات البداوة. فذاك المجال الواسع والفناء المتسع من الفضاء الروحي والاتساع المكاني .
فيما يخص طبيعة حياة البدو تجعل من لغتهم وعباراتهم عند التعبير عن المواقف أو الانتقاد أو غير ذلك من طبيعة الحياة أو ظروفها مجالاً خصباً للتعبير عن آرائهم بأقل التعبيرات والكلمات اللغوية أو حتى الإشارات السلوكية



وفي مقالنا هذا نتصدى لبعض تلك الصفات التي تجعل من سرعة البديهة واللباقة والأسلوب الجيد في النقد أو التعبير عن الرأي، وذلك عبر بعض المواقف والعبارات والجمل اللغوية التي تحدث بها عدد من شيوخ البدو أو حتى بعض العامة منهم للتعبير عن موقف معين، وخاصة في الجوانب السياسية والحياة العامة أو الشأن العام. ومن هنا جاء عنوان المقال: "الاسقاط السياسي في التعبيرات البدوية".

ويحكى أن بعض الشخصيات السياسية في نظام سياسي ما كانوا في زيارة لأحد شيوخ القبائل، وقد قام هذا الشيخ بضيافتهم على أكمل وجه، ثم اقترح عليهم زيارة مزرعته لاستنشاق الهواء وقضاء وقت ممتع في الطبيعة. فقبلوا، ومن ثم وجدوا في المزرعة الخيل والإبل وغير ذلك من الحيوانات، ولكن لفت نظر أحدهم خلية النحل الموجودة، فوقف بجانبها وبادره يراقبها في نظامها، ثم قال للشيخ: "شفت يا شيخ هالخلية كيف منظمة ومرتبة؟". فما كان من الشيخ إلا أن مازحه قائلاً: "حتى مملكة يا أفندي، كيف ما تبيها منظمة؟". وهذا إسقاط على شكل وطبيعة النظام السياسي في تلك الدولة.

وفي موقف آخر، يقال أن أحد الساسة سأل أحد شيوخ القبائل فقال له: "ما رأيك في نظام سلطة الشعب؟". فرد الشيخ قائلاً: "هذي مثل الحلوى في فم الحمار، يمضغ فيها وما يعرف طعمتها".

والاسقاطات السياسية في التعبيرات واللغة هي استخدام اللغة والرموز والإشارات لتجاوز الرقابة والتعبير عن مواقف سياسية واجتماعية، حيث توظف لتوجيه الرأي العام أو نقد النظام، أو حتى كأداة للمقاومة أو التهرب من الواقع. وتتجسد في خطاب المظلومية، أو توظيف التراث، أو حتى السخرية اللاذعة التي تخفي نقداً عميقاً.

وتعد النكتة السياسية من أبرز أشكال الاسقاط السياسي في التعبيرات اللغوية، حيث الأسلوب الساخر في النقد السياسي سواء للشخصيات العامة والحاكمة أو للنظام السياسي بشكل عام.

يقال أن رأس النظام كان ذاهباً إلى الصيد في البراري، فوجد رجلاً بدوياً، فأراد أن يمازحه قائلاً: "وشنو تعمل في الصحراء وحدك هنا؟". فقال البدوي: "أنتم حتى في الصحراء لاحقيننا، وما يجمعنا بينا وبينكم غير يوم القيامة".

كثيرة هي المواقف التي تدل على سرعة البديهة والرد القوي من العقل البدوي سواء في الشأن العام أو الحياة العامة، أو كانت باتجاه النقد والسخرية من نظام سياسي أو وضع اجتماعي أو غير ذلك. وما ذكرناه يعتبر نوعاً من تلك المواقف، وتظل التعبيرات البدوية في فن الرد والإجابة هي الفيصل الذي يميز البدوي عن أقرانه في النقد وما شابه ذلك.

كان أحد شيوخ القبائل في استضافة بعض الرموز السياسية الحاكمة في الدولة، وعند تناولهم الشاي، قال الشيخ: "نبي طاسة شاي مرة". فرد عليه هذا السياسي المستضيف: "يا شيخ فلان، من أمتى تشرب فالمر؟". فرد الشيخ قائلاً: "من يوم ما جيتونا". وهذه من المواقف الجريئة لأحد مشايخ البدو.

رمضان جاء





شعر

م. محمود الفحام

جاءَ شهرُ الخيرِ قُم
فالرضا والعفو جَمّْ
دعْ مهما للأهم
سوف لايُشقيكَ
هَمّْ
أشرقَ النورُ هلُم
من دُجاكَ المُدْلهِم
قد شهدتَ الشهرَ صُمّ
لاتكن صخراً أصم
إن يقُل إبليسُ نَم
غِظهُ فالغفرانُ عَم
في سنا القرآنِ هُم

واتلُهُ حتي يُتَمّْ
فلتلُم نفسَكَ...لُم

نقِّها كيفاً وكم
قل لموفورِ النِّعم

ضعفُنا للنفس أمّْ
مذنبٌ إني...نعم
إن نزغ النفس سُم

بِتُّ يُشقيني الألم
مذ بيَ الكربُ الَمّ
ربَّنا ياذا الكرم
هل تُري الصدعُ يُرَم ؟

كم فعلنا ...كم وكم
والأسي بحرّ خِضَم
ذنبُنا قَطرٌ أمَمَ
عفوكَ اللهم يَم
يارضا الرحمن دُمْ

عافنا من كل غم

سوف يطوينا الهِرم
والردي يطوي الأشم
هل تري يُجدي ندم
إن قضاءُ الله حُم؟!

***

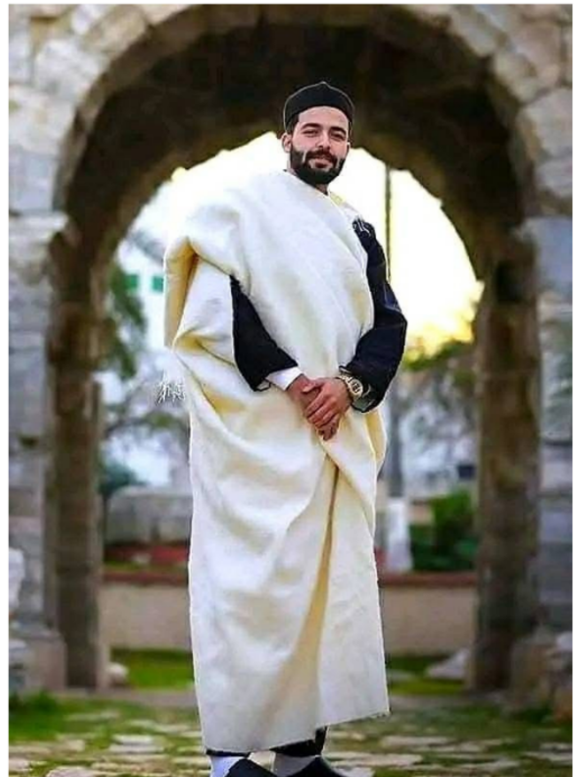




(الجرد) ..
زي أهل الصحراء



الأثري
عبد الله موسى لعشيبي



الجُرد، أو الحُوْلي، هو اللباس التقليدي الشعبي لأهل الصحراء الغربية في مصر. وهو الرِّداء الذي يلبسه الرجال، وقد تميَّز به أهل بَرَقَة بشِقَّيها المصري والليبي منذ قديم الزمان، وما زالوا إلى وقتنا هذا يلبسونه في مناسباتهم الدينية والقومية، حتى خارج البلاد،

كزيٍّ وطني يختصُّون به دون غيرهم. ويكتسب هذا الزي عندهم نوعًا من التميُّز الواضح بين أنماط الأزياء الأخرى. وهو الرِّداء الذي ارتبط بفترة الجهاد، حيث اعتُقِل وأُعدِم رمز الجهاد الليبي (عمر المختار) وهو يرتدي هذا الزي.



ظهر مؤخرًا نواب الشعب من محافظة مطروح بالجُرد (الزي الشَّعبي) لعرب الصحراء وهم يؤدون القسم، مما أثار التساؤلات عن تاريخ هذا الزي المميز.



وصف الجُرد (الحُولي):

الحُولي (الجُرد) عبارة عن قطعة قماش كبيرة (4-6 × 1.5 م) تُنسَج من صوف الغنم. وغالبًا ما يكون الحُولي أبيض اللون، أما البني فنادر.

وبعض النساء يتَّخِذه مُقَصَّبًا بالأسود أو البني. وتتأرجح الجودة والسعر بين ما هو مصنوع من خيوط بخشونة الخيش، وبين النماذج المصنوعة من صوف ثخين. ويكون بلونين: الأبيض وهو السائد، والبني ويُطلَق عليه "عباءة". ويُطلق عليه أحيانًا (حُولي)؛ ويُرجع ذلك إلى فترة إعداده التي تستغرق سنة كاملة: تبدأ باختيار الصوف المناسب ونَقْعه من الشوائب، ثم غَزْل الصوف يدويًا، ثم نَسْجه يدويًا.

الأصل التاريخي والتشابه مع أزياء أخرى:

يَرجع أصل هذا الزي إلى عصور مُوغِلة في القِدَم، وفيه تشابُه مع الزي الذي كان يرتديه نبلاء روما (التوجا). في جبل نفوسة، يستعمل الرجل عَباءته في السفر لباسًا، وفِراشًا وغِطاء، وخيمةً عند اشتداد الهَجير، وكذلك قد يستعمل جُرْده كحبل لسحب الماء من مَوَاجِل السبيل.

ويَرجع سبب تسمية "الجُرد" إلى العباءات التي تظهر عليها علامات القِدَم كانتهاء فِرائها (الجَرَد)، من الفعل (جَرِدَ) أي صار أجردَ من الوَبَر.

أنواعه :

1. أبيض: يُصنع من الصوف الأبيض الثقيل، يُلبس في الشتاء، تُزيَّن أطرافه برُقَيْمَات صغيرة الحجم، ويُستعمل في الأيام العادية والأفراح و المآتم.
2. عباءة بنية: تُصنع من الصوف الثقيل البني، تُلبس في الشتاء، وهي بدون حواشٍ زُخرفية، ولكن في حافَّتَيْها خَطَّان أبيضان. وهي لا تُلبس في الأفراح ولا المآتم.
3. عباءة حمراء: يَسري عليها ما يَسري على سابقتها، ما عدا أن البعض يَتَشاءم من صناعتها ولبسها.
4. آخْماسي: وهي عباءة بيضاء من الصوف الخفيف لاستعمالها في الصيف، وتُزيَّن أطرافها زخارف رقيقة صغيرة الحجم، تُلبس في الأفراح. أما في المآتم، فله نوع خاص.

- المُقَنَّى: لا يستعمله إلاَّ الفَتاة المُقبلة على الزواج، فهو علامة اجتماعية فارقة، ويُلبس في المناسبات. يُصنع المُقَنَّى من عباءة بنية قاتمة وليست بيضاء.
- أخماسي / عباءة بيضاء: وفيها حواشٍ صغيرة "تَقِيقَاز"، وهي تُلبس في الفرح والمآتم.



تشتهر بعض المناطق في ليبيا بحياكة الحُولي:

• (الحُولي الجَبَلي): يُحاك في الجبل وفي نالوت خاصة من الصوف المغزول محليًا، وكان هذا النوع أكثر الحُوالي بياضًا في إنتاج ليبيا؛ وذلك لأن الصوف كان يُبَيَّض باستعمال الجبس المُخفَّف بالماء. وكان مقياس الحُولي الجبلي حوالي 16 قدمًا في 5 أقدام.

• (العَبِي الجَبَالية): وهي من النوع الثقيل، كانت تُصنع من الصوف المغزول محليًا بواسطة الأنوال العمودية، وكانت النساء يَقُمْنَ بحياكتها خاصة في منطقة مِصراتة.

طُرق اللباس:

يلبس الرجال العباءة الصوفية بطرق كثيرة ومتعددة، وكل شخص له مطلق الحرية في طريقة لبسه لجُرْده بالكيفية التي تناسبه، وهذا بعد أن يُراعي الأحوال الجوية. وطبعًا هذا في الظروف العادية، أما في أوقات العمل أو الظروف الجوية القاسية فيُصبح الرجل مُلزَمًا بأن يلبس عَباءته بطريقة معينة. ويَقضي الرجال وقتًا طويلًا في تنظيمها وتعديلها ووضعها على الرأس مرة وأخرى على الكتف.





يُلَفُّ الحُولي على أغلب أطراف الجسد، حيث تتم بتمرير أحد أطرافه المُتقدِّمة من تحت الإِبْط ليلتقي بالطرف المُتدلِّي منه على الكتف، والتحامها في ربطة على الصدر من الجهة اليُسرى. موضع ربطة (الخُوْلي) الليبي على الجهة اليُسرى من الصدر،وتأخذ هذه الربطة شكلًا مُكَوَّرًا صغيرًا لا يتجاوز حجمها في الغالب حبة من ثمار المشمش المُتوسطة الحجم. وتُسمى هذه الربطة "التَّكْمِيَة".

كما أن أفضل أنواع الجُرد الأبيض يُصنع في مدينة جادو بالجبل الغربي، حيث وصل سعر أحد الجُرود إلى 2000 دينار ليبي (ما يعادل حوالي 1600 دولار أميركي)، ووزنه لم يتعدَّ 3 كيلوجرامات.

الزي التقليدي البَرَقاوي هو مجموعة الملابس التراثية التي لها دور كبير بناءً على عوامل جغرافية واجتماعية وتاريخية، وتعكس تأثيرات الحضارات المختلفة التي مرَّت على المنطقة. وعلى الرغم من تراجع استخدامها في الحياة اليومية، لا تزال الأزياء التقليدية تحتفظ بأهميتها في المناسبات الرسمية والاجتماعية، وتُعتبر رمزًا للتراث البَدْوي. يتميز هذا الزي بأصالته وتصاميمه الفريدة التي تمتد جذورها لآلاف السنين. يختلف الزي بشكل أساسي بين ملابس الرجال والنساء، كما توجد تباينات واضحة بين المناطق المختلفة، مثل السواحل والمناطق الجبلية والصحراوية. تظهر هذه الفروق أيضًا بين المكونات الثقافية الرئيسية في شمال أفريقيا كالعرب والأمازيغ والطوارق والتبو.

أصل الجُرد: اللباس العربي التقليدي وجذوره التاريخية:

تُعتبر الأزياء العربية ذات جذور تاريخية عميقة، حيث تُشير النقوش الموجودة على جدران المعابد المصرية القديمة إلى أزياء مُشابهة كان يرتديها الليبيون القُدامى. كما وصف المؤرخ الإغريقي هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد ملابس النساء الليبيات بأنها أثواب جلدية مُزيَّنة.
تأثَّر الزي البَرَقاوي عبر العصور بالحضارات المختلفة التي مرَّت على المنطقة، خاصة التأثيرات العثمانية، والتي تظهر بوضوح في بعض قطع الملابس المُطرَّزة مثل "الفِرْمَلَة". ورغم التحديات التي واجهها الزي التقليدي بسبب الحداثة والعولمة، إلا أنه شهد في السنوات الأخيرة عودة قوية كرمز للفخر بالهوية الوطنية، وأصبح جزءًا أساسيًا من الاحتفالات والمناسبات.
يُشير المؤرخ الإيطالي، غوليا ناردوتشي، في كتابه "بَرْقَة منذ الاستيطان الإغريقي"، إلى أن اللباس الروماني منقول عن اللباس اليوناني القديم، وأن اليونانيين قد نَقَلوا الجُرد عن الليبيين القُدامى. هذا الكلام يُؤكِّده المؤرخ البريطاني سميث كاج بيركت في كتابه "مَمَرَّات الحضارة". وقدّ أشار هيرودوت إلى أن ثوب ودرع أثينا قد نَقَلَهما الإغريق عن النساء الليبيات.

هذا الجُرد الذي كان يرتديه أهل بَرْقَة أيام الرومان ما زال حاضرًا واستمر إلى الزمن الحالي. الجُرد هو اللباس التقليدي الشعبي البَرَقاوي، وهو الرِّداء الذي يلبسه الرجال وقد تميَّز به أهل بَرْقَة من قديم الزمان، وما زالوا إلى وقتنا هذا يلبسونه في مناسباتهم الدينية والقومية حتى خارج البلاد كزيٍّ وطني يختصُّون به دون غيرهم. ويكتسب هذا الزي عندهم نوعًا من التميُّز الواضح بين أنماط الأزياء، وهو الزي الأبرز في دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط.

الجُرد في العهد الروماني والتشابه مع "التوجا":

يُعتبر الجُرد من أبرز الأزياء التقليدية التي حافظت على حضورها الثقافي في شمال إفريقيا منذ العصور القديمة. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن الجُرد، أو ما يُعرف بـ"الحُولي"، كان يُرتدى من قبل السكان المحليين في طرابلس وبَرْقَة وفَزَّان خلال الحقبة الرومانية. بل حتى أن بعض أباطرة روما من أصول ليبية ظهروا به أو بتأثيراته في لوحاتهم وتماثيلهم، مثل سبتيموس سيفيروس الإمبراطور الليبي المولود في لَبْدَة الكبرى.

الجُرد هو القطعة الأكثر شهرة وأهمية في لباس الرجل البَدَوي. وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة من الصوف أو القطن، يبلغ طولها حوالي 6 أمتار، يتم لفُّها حول الجسد بطريقة خاصة تترك عادة الكتف الأيمن والذراع حُرَّين. يأتي الجُرد بلونين رئيسيين: الأبيض، ويُرتبط بالاحتفالات والأفراح، والبني أو البيج، وهو مخصص للاستخدام اليومي. يُعتبر الجُرد رمزًا للرُّجولة والمكانة الاجتماعية.
التوجا: أصل الجُرد الروماني المُحتمل:

• ما هي التوجا؟ هي ثوب تقليدي كان يُلبس في روما القديمة. وهي قطعة قماش نصف دائرية تُلف فوق السُّترة. كان أهل روما القُدماء (دون العبيد) يلبسونها، وهي لباس كان يرتديه المواطنون في الإمبراطورية الرومانية. كان الرومان قبل 2000 سنة يرتدون هذا اللباس، وهو يتكوَّن من رداء أبيض متفاوت الطول يُلف حول الجسم. عادة ما تكون التوجا منسوجة من الصوف وكانت تُلبس فوق الغلالة التي كانت بدورها مصنوعة من الكتان.



• الهدف من التوجا ومعناها: منذ بداياتها على الأرجح كملابس عمل بسيطة وعملية، أصبحت التوجا أكثر ضخامة وتعقيدًا وتكلفة، ولم تعد مناسبة إلا للاستخدامات الرسمية والاحتفالية. كانت ولا تزال تُعتبر "الزي الوطني" لروما القديمة، وكانت ذات قيمة رمزية كبيرة. كانت التوجا ثوبًا خارجيًا للرجال في روما القديمة، يُرتدى كعلامة على المواطَنة.

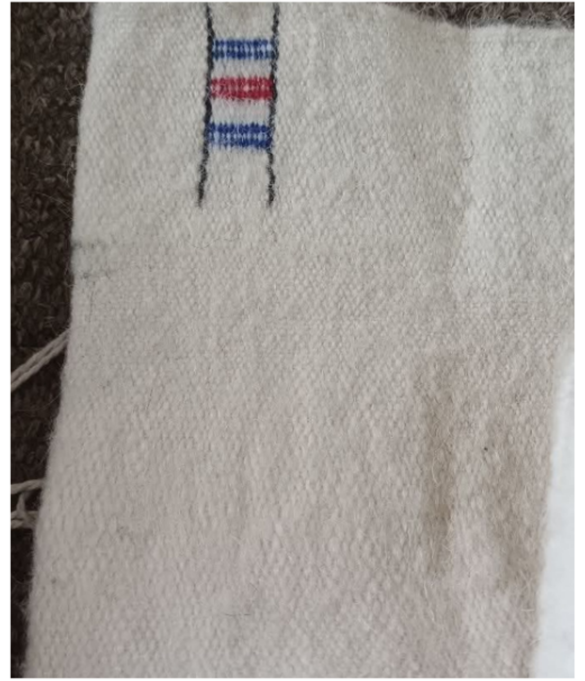
• عدم جدواها كعلامة على الثروة: إن عدم جدوى التوجا كان علامة على الثروة. كان معظم المواطنين يتجنبون ارتداء التوجا بأي ثمن؛ لأنها كانت باهظة الثمن، وساخنة، وثقيلة، ويَصعُب الحفاظ عليها نظيفة، ومكلفة الغَسْل.

• كيفية ارتدائها: في الأيام الأولى لروما، كان كل من الرجال والنساء يرتدون التوجا، وكان الرجال يرتدونها بدون أي شيء تحتها باستثناء المِئْزَر. وحتى في وقت لاحق، عندما كان يرتديها الرجال حصريًا تقريبًا، استمرت الفتيات في ارتدائها حتى يَبْلُغن 12 عامًا.

مؤخرًا، تم اكتشاف تمثال في منطقة زاوية أم الرَّخَم بالقرب من مَرْسَى مَطْرُوح لرجل يرتدي التوجا، مما يُثبت بالأدلة الأثرية تواجد هذا النوع من الزي في مطروح منذ آلاف السنين.

الجُرد في كتب الرحالة والمستشرقين:

• يقول الرحالة والجغرافي الألماني "إيفالد بانزه" (1906م): "يمكن أن ينام المرء في الحولي (الجُرد) ويَلُفُّ الرأس بأكمله خوفًا من الإصابة بالبرد، ويمكن أن يَحمل فيه المشتريات من السوق إلى البيت، أو من المدينة إلى موطنه في القرية إذا ما جَمَع أطرافه إلى بعضها... باختصار، فإنه لا يمكن تصوُّر البَدَوي دون الحولي، إنه يعيش ويموت في هذه القطعة من صوف الغنم. إن شخصًا طويلًا يرتدي الحولي ويتَّخِذ وضعًا هادئًا يُذكِّرني دائمًا بتمثال سوفوكليس في روما".



• يقول الرحالة الفرنسي "هنري دو ماتيسيو" (1901م): "جَعَلني بَرْد هذه الليلة أفهم فائدة "الجُرد"، فهو بسيط وخفيف ومن السهل ارتداؤه بطرق عدة، ويتحوَّل وفقًا للاحتياجات إلى مَلاذ ضد الحر أو البرد. ومن حولي كان الرجال يتغطَّوْن به، كان الواحد منهم في خيمة صغيرة فردية، وينامون براحة تامة، بينما كنت أنا أَرْتَعِد في مِعطفي المصنوع جيدًا. إن على كل أوربي أن يرتدي الجُرد عندما يواجه القارة السوداء؛ لأن هذا اللباس المحلي يحتفظ بدرجة حرارة ثابتة هي درجة حرارة الجسم".

الرَّقْمَة أو الرَّقَيْمَة:

هي علامة تُنْسَج في نهاية الجُرد (مع نطق حرف القاف بالعامية). تَدُل على المقاس والنوعية. حيث كان الناس يوصي بعضهم على نوع ومقاس الجُرد بهذه العلامة، فيقول: "جُرد من وَبَر الإبل أو صوف الغنم، بثلاث درجات، الحُمْرة في الوسط...". والرَّقيمة علامة قَطْع الجُرد وتأتي في آخر ذراع في طول الجُرد، وتَعني هذه العلامة أن عملية نَسْج الجُرد شارفت على الانتهاء. يُمَيِّزْنَ فيها جدَّاتنا وأمهاتنا عن باقي علامات الذُّروع؛ لأنه بعد كل ذراع من طول الجُرد يَحُطْنَ علامة.

مقاسات الجُرد أو الحُولي:

والمقاسات ثلاثة أنواع تُعرف بالعامية وهي:

1. تِسُوع: وهي تسعة أَذْرُع لطول الجُرد.
2. عُشُور: وهي عشرة أَذْرُع لطول الجُرد.
3. حَدُّوش: وهي إحدى عَشَرَ ذراعًا لطول الجُرد.

وَيُعرف مقاس الجُرد بِمَوْقِع العلامة الحمراء: إذا كانت في الأول فالمقاس "تِسُوع"، وإذا كانت في النصف فهو "عُشُور"، وإذا كانت في الآخر فهو "حَدُّوش".

أصل الجُرد في الميثولوجيا اليونانية:

عالَم الموت الميثولوجي اليوناني يَتشبَّع بأساطير مَنْشَؤُها ليبي، كما يشرح ذلك "محمد بازامة" في كتابه حول قورينا وبَرْقَة. ومنها أسطورة سيدة العالم السفلي "برسفونة"، زوجة هاديس، التي أكلت التفاحة فأُلزِمَت بأن تبقى ثُلُث العام قابعة تحت الأرض في العالم السفلي، كتفسير ميثولوجي لتغيُّر الفصول.



كان هذا الرداء رداءً ليبيًا، تتَّسم فيه بساطة الرداء إذ إنه قطعة طويلة من القماش الصوفي أو القطني تُلَف حول الجسم. كانت هذه الأردية يرتديها الرجال والنساء في بَرْقَة قبل دخول اليونان، حيث يذكر هيرودوت خلو حملة "باتوس" الاستيطانية من النساء والعائلات، وأن المستوطنين تزوَّجوا من نساء ليبيات بَقِينَ على عادات آبائهن وتقاليدهن، كما يذكر ذلك دُسْتور بَرْقَة اليوناني الذي يُحدِّد طبقات المجتمع القوريني.

كان هذا الرداء البسيط منتشرًا في مناطق لم يَصِلْها اليونان، مثل منطقة "كنيبس" التي يعتقد "دي هينيس" أنها وادي كَعَام.

فيذكر المؤرخون شُهرة أصواف المنطقة التي يُصنع منها رداء محلّي يُسمى "كَلْكيليوم"، والذي يرتديه الليبيون ويُسمى عند الرومان "التوجا" على حد سواء. كانت هذه الأردية هي الصور الأولى للنمط نفسه المُشاهَد في الحولي والجرد. الأقرب هو رداء "بليري" (الرداء) الذي يتشابه تشابهًا كبيرًا جدًا مع لباس هذه المرأة (برسفونة في التماثيل الليبية) وأيضًا الرمز التقليدي الذي تحمله كمفتاح في يدها للعالم السفلي. وأيضًا تُشاهد هذه المرأة في وضع آخر وهي مُلتحِفة بردائها مُغطية به وجهها، لا يُشاهد سوى العينين، فيما نُسميه "اسبومبك" .



خواطر من التراث

عقل بن هولة



أ.ناجي بو المسمارية

كان عقل بن هوله زعيماً من زعماء بني هلال، وكان له من اسمه نصيب. اسمه فيه الفأل: "عقل" و"عاقل"، كما يقولون. فهو كان ينهى عن العيب ويكره المشاكل، وكان يمشي على المبدأ والمثل القائل: "اللي تحلها بإيديك خير من اللي تحلها بسنونك".

لكن بعض الهلاليين اتهموه بالخوف والجبن، لمجرد حقدهم عليه وعلى مكانته ومحبة الناس له. وفي مرة حضر بعض أقاربه إلى خيمته ورفعوا أصواتهم عليه قائلين: "إما أن تقوم بضرب الطبل وإعلان النفير وتنزل الدار العورة، ونهجم ونغزو الزناتية، وإما أن تبتعد عن قيادة جيشنا، فالجبناء لا يصلحون للقيادة".



فأنشد يقول:

يَارَب جِبِ الْكِلَالِ وَجِبْ حَرْبٍ بَيْنَ الصَّفَافِي
بيشْ يِنْطَمِر كُل ذَلَّالٍ الْفَارِس أَسْنِين الْعَوَافِي
اللِّي فِي الْمُحِبِّين مَا يَسْأَل وَخَيْل الْأَعْدَاءِ مَا يِكَافِي

وقد قال فيه أحد الهلاليين عندما سُئل عن بدر بن غانم فمدحه، ولم يُسأل عن عقل بن هوله ولم يذكره، فقال:

تِنْشِد عَلَى بَدْر بْن غَانِم
وَعْقَل بْن هَوْله مَا شَغَلْك بِالْ؟!

عُقَيْل هَوْ الَّلِي الْمِقَّطَع تِدَر بِالْحَلِيب عَلَى إِيدَه
وَعُقَيْل هَوْ الَّلِي فَوْق الدِّبِر شَيَّالْ

وَعُقَيْل وِين مَا جَنْكُمْ سْنِين شَدِيدَه
تِمَلَّاكُمْ ضُراً وَلَعِيبَكُمْ حَمَّالْ

(و"المقطع" بتشديد القاف هي الناقة التي انقطع حليبها).
أحد شعراء السيرة الهلالية يقول:

الله الله سَاعَاتِ الدَّهْرِ يِنْقَلِبْ
وَبِيض اللَّيَالِي مَا يِجِنّ فِي عُشْر سُودَهَا
قَبْل يِجِينَا فِي الضُّحَى الْعَالِيَه
تَمَا يِجِينَا قَبْل بَزْغَة عَمُودَهَا
حَيَّا نَقِيق الطَّبْل فِي كُل حَيٍّ
وِمِنْه كُل عَذْرَا حَنَّتْ خُدُودَهَا
حَيَّات مَعَ أَبُو زَيْد مَارِيت مُرَّهَا
وِمِنْه لَا سَبَد مَا نَزُور لُحُودَهَا

فَوْق الْحُرُوف نُحط نِقَاطِي
أَوْقَات نِقُول
وِنخَاف الطَّوَاطِي

وَأَوْقَات نِقُول خَلِّي التِّبِن فَوْق الشَّعِير مِغَاطِي

حَيَاة وَالِدَتِي - الله يِرْحَمهَا - كَانَت سَاعَات تِلْقَانَا نِضْحَك بِصَوْت عَالِي، وخَاصَّة لَو كَان فِيه ضُيُوف، تَغْضَب بِشِدَّة وتِقُول: "عَيْب! الضَّحِك بِلَا سَبَب قِلَّة أَدَب، وَإِيش حَظُّكُمْ تَضْحَكُوا؟"
(#حَظ الْمُكَسَّرِين عَلَى شَط الْبَحْر)
مَاتَت - الله يِرْحَمهَا - وفِي عَقْلِي نَسْأَل عَنْ مَعْنَى هَذَا الْمَثَل وَالْمُنَاسَبَة الَّتِي قِيلَ فِيهَا. الله الله... رَبِّي يِرْحَمهَا وَيِغْفِر لَهَا.
وَلَو وَاحِد مِن الْأَصْدِقَاء مَرَّ عَلَيْه هَذَا الْمَثَل يُعْطِينَا نَبْذَة عَنْهُ.

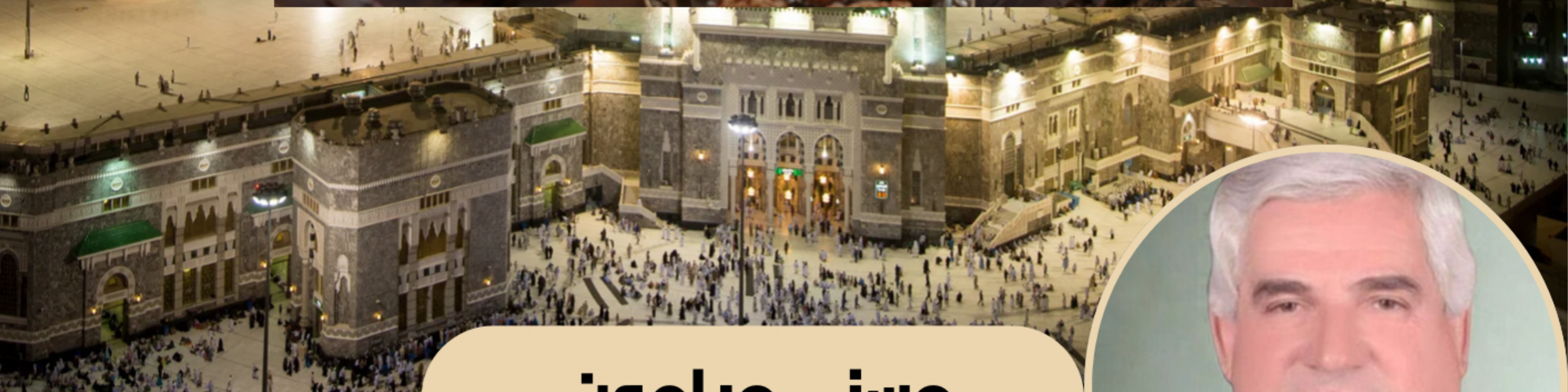
إِذَا مَرِرْتَ بِشِدَّة فَاصْبِر لَهَا
فَإِنَّ الْحَيَاةَ شَدَائِدٌ وَرَخَاءُ

والعرب يقولوا: خُش مِيعَاد الْأَجْوَاد بِالْعَقْل، وَخُش مِيعَاد الْأَنْذَال بِالسَّفَاهَه.
ويقولوا:
الْحَرْث دِيمَا والصَّابَا غَفَلَات.. والسَّنَة عَدَّت لَا حَرْث وَلَا مَطَر وَلَا رَبِيع وَلَا رَاحَة بَال.











حسني جرامون

شهر رمضان شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار



فضل شهر رمضان :

شهر رمضان هو شهر عظيم فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر قال الله تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ"

وفي هذا الشهر يغفر الله الذنوب ويستجيب الدعاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"



أعمال شهر رمضان :

شهر رمضان هو شهر العمل الصالح فيه يتقرب العبد إلى الله بالصيام والقيام والقرآن والصدقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصيام جنة"

وقال أيضا "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"

كيف نستقبل رمضان :

يجب علينا أن نستقبل رمضان بالتوبة والاستغفار وأن نعد العدة للصيام والقيام وأن نكثر من الدعاء والاستغفار

قال الله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ صدق الله العظيم

نسأل الله أن يبلغنا رمضان وأن يتقبل منا الصيام والقيام وأن يغفر لنا الذنوب ويعتقنا من النار وينصر المسلمين .

في شهر رمضان كل الأعمال الصالحة بتكون خير بس فيه شوية حاجات لو عملتها هتكون مميزة:



- *الصيام*: الصيام هو ركن من أركان الإسلام، وبيغفر اللّٰه فيه الذنوب.
- *القيام*: قيام الليل في رمضان خاصة في العشر الأواخر بيكون له فضل كبير
- *القرآن*: قراءة القرآن في رمضان لها ثواب عظيم حاولوا تختموه في الشهر
- *الصدقة*: الصدقة في رمضان بتكون مضاعفة الأجر
- *الدعاء*: الدعاء في رمضان مستجاب خاصة في وقت الإفطار
- *دعاء الإفطار*: "ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء اللّٰه"
- *دعاء الصائم*: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي
- *دعاء ليلة القدر*: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"
- *دعاء رمضان*: "اللهم بلغنا رمضان وبارك لنا فيه وأعنا على صيامه وقيامه"

كل سنة وجميع المسلمين بخير وستر

عزيزة خالد السنيني

رائدة التعليم والعمل السياسي بمطروح









أ. صلاح الدين أحمد هزاع

بعد ٢٥ عامًا من اعتزالها العمل العام،
أول ظهور إعلامي للسيدة عزيزة خالد السنيني
رائدة التعليم والعمل الاجتماعي والسياسي،

• بعد رحلة عمل امتدت لـ ٣٥ عامًا في نشر التعليم بربوع مطروح، تزامنت مع نشاط اجتماعي وسياسي واسع في المجالس المحلية ورعاية شؤون المرأة البدوية، اعتزلت السيدة عزيزة خالد السنيني المشهد العام بعد أن تركت بصمات كبيرة وإنجازات عظيمة في تاريخ تنمية محافظة مطروح.

★ وقد التقيت بالمربية الفاضلة والسياسية القديرة عزيزة خالد السنيني لتوثيق سيرتها الذاتية ورحلة عملها وخدماتها؛ لتكون قدوة للأجيال وشهادة على تطور المجتمع.

★ تقول السيدة عزيزة: إنها من مواليد برج العرب، لأبوين من البدو، فأبيها هو خالد عبد العاطي عبد الهادي موسى من أبناء قبيلة العبابدة الشهيرة في أسوان، وجاء إلى مطروح بحكم عمله بقسم شرطة مطروح، وأمها ابنة قبيلة العداوة (السننة).

وكانت الأسرة مكونة من سبعة أبناء: خمسة ذكور وأربع إناث، هي واحدة منهن.

ومع ذلك، أصر الوالدان على تعليم أبنائهما جميعًا دون تفرقة بين ذكر وأنثى. وقد حصلت هي وشقيقتها "مهدئة خالد" على دبلوم المعلمين من محافظة الإسكندرية، حيث لم يكن بمطروح تعليم بعد الإعدادية آنذاك.

كما استكمل شقيقها "مهدي" تعليمه الجامعي وحصل على بكالوريوس الطب من جامعة الإسكندرية، ليكون أول طبيب أطفال بمطروح.

أما باقي الأشقاء والشقيقات فقد اكتفوا بمراحل التعليم الأولية.









★ أول معلمة بدوية في ميدان العمل

في 1 يونيو عام 1966م، تم تعيينها معلمة لمادتي الرياضيات والتربية الفنية بمدرسة "باحثة البادية"، ثم وكيلة لمدرسة "أبو بكر الصديق" عام 1972م،

ثم ناظرة لمدرسة "المثاني" الابتدائية عام 1975م.

وفي هذه المرحلة بالذات، بدأت تشعر بدورها في توعية المجتمع بأهمية تعليم البنات وتحسين ظروف العملية التعليمية؛ حيث كانت المدرسة آنذاك عبارة عن منزل مسقوف بالأخشاب تتسرب إليه المياه عند تساقط الأمطار. فقابلت محافظ مطروح وقتها وطلبت منه السماح باستخدام أربع حجرات من مبنى الوحدة الصحية، فوافق المحافظ على ذلك بالتنسيق مع مديرية الصحة.

وللتغلب على الظروف الصعبة التي كان المعلمون يعيشونها آنذاك، نسقت مع القوات المسلحة لتوفير وجبات غذائية يومية للمعلمين بالمدرسة، بالإضافة إلى التنسيق مع أهالي المثاني الذين يمتلكون سيارات لنقل المعلمين من وإلى مدينة مرسى مطروح بسياراتهم الخاصة بالتناوب.

وفي عام 1976م، تم نقلها ناظرة لمدرسة "القصر" الابتدائية حتى عام 1976، وفي عام 1977م أعيرت للعمل بسلطنة عُمان.

الانخراط في العمل الاجتماعي

★ من التعليم إلى العمل الاجتماعي والسياسي

بدأ نشاطي الاجتماعي والسياسي عام 1982م عقب العودة من الإعارة إلى سلطنة عُمان.

وفي المجال الاجتماعي، قمت بإنشاء أول دار إقامة للطالبات المغتربات الملتحقات بمعهد المعلمين والمعلمات، القادمات من المراكز التابعة للمحافظة، لتسهيل إقامتهن وضمان استكمالهن للدراسة في ظروف آمنة وتحت إشراف رسمي.

كما رشحتني مديرية الشؤون الاجتماعية لرئاسة مجلس إدارة جمعية الشابات المسلمات.

وفي المجال السياسي، تم ترشيحي من قبيلة "السننة" لعضوية المجلس الشعبي المحلي

لمحافظة مطروح عن "بيت العراوة"، واستمريت في هذا المجال من عام 1982م إلى عام 2001م، حيث اعتزلت العمل السياسي مع انتهاء خدمتي بمديرية التربية والتعليم.

وخلال عضويتي بالمجلس، توليت رئاسة عدة لجان بالتناوب، منها: لجنة المتابعة، ولجنة التعليم، ولجنة الإسكان، كما توليت منصب أمينة المرأة بالمحافظة.

★ فرع جامعة الإسكندرية... نواة جامعة مطروح

وخلال رئاستي لأمانة المرأة، ظل حرصي على تعليم الفتيات مستمرًا؛ فتقدمت باقتراح للواء كمال منصور، محافظ مطروح، لافتتاح فرع لجامعة الإسكندرية بمطروح؛ للتغلب على ظاهرة انصراف البنات عن استكمال التعليم الجامعي؛ لرفض كثير من الأسر سفر بناتهن للتعليم الجامعي بالإسكندرية بسبب العادات والتقاليد والتكاليف المادية.

وتم رفع الطلب لوزير التعليم العالي، الذي وافق على ذلك، وكانت البداية بفرع لكلية التربية. واليوم، تطورت الفكرة وأصبح هذا الفرع النواة التي قامت عليها جامعة مطروح، التي تضم الآن عددًا كبيرًا من الكليات.

★ معركة قضائية للدفاع عن المرأة البدوية

في الثمانينيات من القرن الماضي، نشرت إحدى المجلات النسائية موضوعًا صحفيًا يتضمن إساءة للمرأة البدوية بوصفها بالتخلف، فقمت برفع دعوى قضائية ضد المجلة ومحرر الموضوع، وألزمت المحكمة المجلة ورئيس تحريرها بنشر اعتذار رسمي مع مقال عن دور المرأة البدوية وخصالها الحميدة وصفاتها المميزة.

★ استصلاح الأراضي وتمليكها للشباب

الرئيس مبارك ينفذ اقتراحي بمشروع "أراضي شباب الخريجين"

عزيزة خالد السنيني

في عام 1985م، ترأست وفد "فتيات مطروح" لمؤتمر إعداد القادة بالقاهرة بحضور الرئيس مبارك، وأثناء المؤتمر عرضت عليه مقترح استصلاح الأراضي الصحراوية وتمليكها لشباب الخريجين لزراعتها؛ باعتبار ذلك فرص عمل لهم، وتسهم في زيادة الرقعة الزراعية وفتح آفاق تنمية جديدة بالمحافظة.

ووافق الرئيس مبارك على الفكرة وكلف الدكتور يوسف والي، وزير الزراعة، بتنفيذها، وهو المشروع الذي عُرف باسم (مشروع النوبارية الجديدة وبرج العرب والبنجر).

★ صائدة الجواسيس

في عام 1993، وأثناء زيارة لواحة سيوة رفقة الفريق زاهر عبد الرحمن، محافظ مطروح، لاحظت تواجد سائحة إيطالية تحاول التقرب مني، وكانت ترتدي الملابس السيوية وتخالط أهالي سيوة بشكل مبالغ فيه.

لم أعرها أي اهتمام، وكنت أشعر بريبة شديدة تجاهها.

وبعد العودة من سيوة، ذهبت لمقابلة الفريق زاهر بمكتبه بديوان المحافظة لعرض بعض الأوراق الخاصة بالعمل، فوجدت السائحة الإيطالية وزوجها بمكتب المحافظ ليُهدياه "تابلوه" فني لوضعه بالمكتب. وبعد خروجهما، أشرت للمحافظ بضرورة إخراج هذا "التابلوه" بسرعة من المكتب، وأخبرته بشكي في هذه السائحة، وأن هذا التابلوه قد يكون فيه أجهزة تنصت على ما يدور بمكتبه من محادثات هامة.

وبعدها بأيام، تبين بالفعل أنهما جواسيس لدولة أجنبية، وتم ضبط السائحة وزوجها بعد العثور على أجهزة تجسس في مقر إقامتهما بسيوة، وتم ترحيلهما فوراً من مصر.

★ مرافقة حرم الرئيس في سيوة

وفي تسعينيات القرن الماضي، كنت أرافق السيدة سوزان مبارك، حرم الرئيس، خلال

زياراتها لواحة سيوة، حيث افتتحت مركزًا نموذجيًا لخدمة المرأة السيوية.

★ شهادة التقدير الحقيقية في الإنجاز الحي

ورغم الكم الهائل من شهادات التقدير التي حصلت عليها السيدة عزيزة خالد السنيني من المحافظين والأحزاب والجمعيات الأهلية، إلا أنها لا تعترف إلا بشهادة الإنجازات الحقيقية على الأرض، لما قدمته لمطروح في مجالات التعليم والعمل الاجتماعي والسياسي.

وتظل الشهادات الحقيقية التي تفتخر بها متمثلة في:

- الأجيال التي تلقت تعليمها على يديها في مدارس "الباحثة"، و"أبو بكر الصديق"، و"المثاني"، و"القصر"، وتخرج منهم المئات من المعلمين والمعلمات، والمهندسين والمهندسات، والأطباء والطبيبات، والمحامين والمحاميات، وغيرهم من الفئات التي أسهمت في تنمية مطروح.
- فرع جامعة الإسكندرية الذي كان نواة لجامعة مطروح المستقلة.
- مشروع أراضي النوبارية الجديدة والبنجر لشباب الخريجين.







عزيزة خالد السنيني

التقنيات المعاصرة وحروب الغيبيات والأديان !

أ.د. عبد الله بن أحمد الفيفي



ـ نحن هنا لا نقصد بالضرورة تلك البثوث المتعلّقة بالتبشير، أو التنفير، أو التشكَيك، أو السياسة، أو نحوها من خطابات الصراع الفكري والدّيني، ذات المآرب الواضحة؛ دعوةً للناس للاصطفاف في صفّ معين، ومناصبة صفّ آخَر العداء. بل إنَّ بعضها تبدو خطابًات بريئة، سِوَى ممَّا قد تكتنفها من الرغبات في الإثارة والشهرة.







حدَّثنا (ذو القُروح) في المساق السابق عن كثرة المتحدِّثين اليوم عن عوالم الغيب، والعجائب، وأسرار الإنسان، والكون. ولا سيما من فئة الشباب، مع تصدُّر النِّساء في هذا المضمار، على نحوٍ لافت، وغير مسبوق. وأشار إلى أنَّ أصل الظاهرة ليس بجديدة، لكنَّ التقنية اليوم تبرزها وتروِّج لها. وهي تمثِّل تأرجح الذِّهن بين اليقين المطلق والشَّكِّ المطلق، وكلاهما مرض ثقافي. وأضاف:

ـ نحن هنا لا نقصد بالضرورة تلك البثوث المتعلِّقة بالتبشير، أو التنفير، أو التشكيك، أو السياسة، أو نحوها من خطابات الصراع الفكري والدِّيني، ذات المآرب الواضحة؛ دعوةً للناس للاصطفاف في صفٍّ معين، ومناصبة صفٍّ آخَر العداء. بل إنَّ بعضها تبدو خطابات بريئة، سِوَى ممَّا قد تكتنفها من الرغبات في الإثارة والشهرة.

ـ في السبعينيَّات كان (مصطفى محمود) نجم الشاشة الأوحد في هذا الفيلم المتعلِّق بـ«العِلم والإيمان».

نعم. في محاولة لتحقيق - ألبرت أينشتاين) مقولة Einstein): 'Science without religion is lame, religion without science is blind': العِلم مُعاق بغير الدِّين، والدِّين» أعمَى بغير العِلم». ثمَّ قفز علينا بعد عقدين، ممَّن قفزوا، (محمَّد شحرور)، وإنْ في نجوميَّةٍ من وجهٍ آخَر، تدَّعِي فهم ما لم يُفهم، وقول ما لم يُقَل، وتصدير قراءة إسلامويَّة هندسيَّة خاصَّة، مختلفة عمَّا قيل في الأوَّلين والآخِرين، بدءًا بصاحب الرسالة نفسه! في محاولةٍ لإعادة تعليب إسلام مبتكر، مفصَّل وفق مقاسات الهوى الجديدة، ومهما كلَّف الأمر من تعسُّف عجيب في اللُّغة، وقراءة النصوص، وفهم السِّير والسُّنن.

ـ غير أنَّ هذه الظواهر كانت، قبل وسائل التواصل الراهنة، تظهر في أزياء فكريَّة ذات مستوى قابل للتأمُّل، بخلاف ما نشهده اليوم، من كثرة المتعاطين لتلك الخطابات الرغبويَّة، التي تسعى جاهدة لجمع الماء والنار، والغيب والشهادة، والعِلم والشعوذة في أوعيةٍ مستطرقةٍ واحدة.

ـ ولو تأمَّلتَ في تلك السيرورة لظهور تلك النباتات، خلال القرن العشرين وهذا القرن، للاحظت أنها تظهر غالبًا بعد هزائم، أو أزمات طاحنة، أو حالات من اليأس والشتات، أو نشوب أسئلة وجوديَّة، وحضاريَّة، وتاريخيَّة مزلزلة. كأنَّ تلك الخطابات تأتي كمواد مخدِّرة، أو مسكِّنة، يروِّج لها فئام من الناس، بوعي أو بغير وعي. ولذا فإنَّه ما أن تنتهي أسبابها، حتى تغدو جُفاءً لا يمكث في الأرض، غير مخلِّفة عِلمًا يُعتدُّ به، ولا فِكرًا ينفع الناس عبر الأجيال.

ـ وما أشبه اللَّيلة بالبارحة!

ـ غير أنَّ اللَّيلة قد تعدَّدت فيها القنوات التي يتدفَّق من خلالها هذا الطُّوفان من الأعمال، على حين كانت البارحة لا تجد سبيلًا إلَّا من خلال القنوات الرسميَّة، خاضعةً لرقابةٍ شديدة، ومراجعةٍ ونقدٍ ثقافيٍّ واسعَين؛ إذ لم يكن الخَرق قد اتَّسع على الراقع اتِّساعه الآن.

ـ لا ريب أنَّ للإنسان حُرِّيَّة الاجتهاد، والتفكير، والتعبير.

ـ صحيح، وهذا حقٌّ إنسانيٌّ، مكفولٌ إنسانيًّا، وينبغي أن يظل كذلك، مهما وقع الاختلاف. بَيْدَ أن المُضِرَّ بالسَّويَّة العِلميَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة هو أن يصبح الاجتهاد والتفكير والتعبير في شؤون الأديان والغيبيَّات من جهة، وفي شؤون اللُّغة والعلوم الطبيعيَّة من جهة، على أيدي غير مؤهَّلين، لا في هذا ولا في ذاك ولا في ذلك! عبر رسائل موجَّهة إلى جماهير غير محصَّنة، تغلب عليها السذاجة، والرغبويَّة، والعقليَّات الخرافيَّة العريقة؛ فإذا هي تُتخطَّف كلَّ يومٍ بدعوى، يومًا بالجهاد المفضي إلى الإرهاب، ويومًا بالعِلم المفضي إلى الجهل، ويومًا بالتفسير المفضي إلى التعمية وضروب الشعوذة، ويومًا بالإيمان المفضي إلى الكُفر... وهكذا في أعاصير عاتية، لم تجد بعد ما يلجمها، من تعليمٍ رصين، أو إعلامٍ مسؤول، أو وعيٍ حضاريٍّ مكين.

ـ وعلى الضِّفَّة المقابلة تنشط كذلك حروب الأديان والطوائف المتطاحنة! كأنْ يأتيك أحد القمامصة ليتظاهر بالمقدرة على تفكيك الخطاب الدِّيني الإسلامي، مثلًا، مردِّدًا أنَّه قد اكتشف أشياء

كثيرة إنَّما جاءت من عنديَّات (محمَّد)، وأنه كان ينبغي لمن كان نبيًّا أن لا ترد على لسانه، ومنها كلمة «نكاح»، على سبيل المثال. واعيباه، وواسواد عماماته!

ـ مهما يكن من جدال، فإنَّما تلك لغة العَرَب، التي يجهلها جناب القمُّص جهلًا عارمًا، وليست بلغة (محمَّد بن عبدالله بن عبدالمطَّلب، عليه الصلاة والسلام). والكلمة المشار إليها لا تحمل بالضرورة- لا لدَى النبي ولا لدَى العَرَب- ذلك المعنى الجنسي الذي يستشعره القمُّص فيتظاهر بالرهبانيَّة والاستحياء منه، اللهم إلَّا بحسب السياق المستعملة فيه. ولو أنَّ اللغة عمومًا أُخذت بذاك المأخذ الدلالي، إذن لامتنع استعمال جانب كبير من اللُّغة؛ لأنَّه لا يعدم أن تحمل ألفاظ كثيرة منها بعض إيحاءات جنسيَّة، أو غير جنسيَّة، بحسب تفكير القائل أو فهم المتلقِّي. والأمثلة على ذلك بلا حصر. من حيث إنَّ لكلِّ مفردةٍ لغويَّة، وَفق (توشيهيكو إيزوتسو (١)، معنيَين (أساسيًّا) و(علاقيًّا). أو قل: (معجميًّا) و(سياقيًّا). على أنَّ اصطلاح (أساسي أو معجمي) هنا إنَّما هو اصطلاحٌ مبدئيٌّ نِسبيٌّ، لضرورة النظر المنهاجي؛ وإلَّا فإنَّ كلَّ كلمةٍ لُغويَّةٍ ذات معانٍ علاقيَّة سياقيَّة بالضرورة، تتلوَّن بها، حسب تاريخها التداولي في المجتمع.

ومن ثَمَّ فإنَّ مادة لغويَّة كـ(نَكَحَ) في كلام العَرَب قد استُعملت بمعنى «تَزَوَّجَ»، سواء تعلَّق الأمر بالرَّجُل أو بالمرأة. كما وردت في «القرآن» في مثل الآية «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا».

ووردت شواهد هذا من الشِّعر العَرَبي، جاهليِّة وإسلاميِّة، في مواضع كثيرة. منها- على سبيل الشاهد- قول (النابغة الذبياني):

وهم قتلوا الطائيَّ بالحجر عنوةً
أبا جابر
واستنكحوا أم جابرِ

وقال (حسَّان بن ثابت):

وإذ حُباشَةُ أُمٌّ لا تُسَرُّ بِها
لا ناكِحٌ في
الذُّرَى زَوجًا ولَم تَئِمِ

وقال (العَرجي):

أَيا قَلبُ لا تَكلَّفْ؛ فلَيلَى مَزارُها
بَعِيدٌ
ولَيلَى ناكِحٌ غَيرُ أَيِّمِ
وقال (الكُميت الأسدي):
ولا شَجِيجٌ أقامَ في دِمنَةِ الـ
ـمَنزلِ لا
نَاكِحٌ ولا عَزَبُ
وقال (أبو العلاء المَعَرِّي):
وكَمْ أَوْلَدَ المَلِكُ المُستَباةَ
وكَمْ نَكَحَ
العَبدُ بِنتَ المَلِك
وقال (المتنبِّي):
لِلسَّبي ما نَكَحوا، والقَتلِ ما
وَلَدوا،
والنَّهبِ ما
جَمَعوا، والنَّارِ ما زَرَعوا

ويقال: «تَناكَحوا تَكثروا»، أي تزاوجوا. و«فلانة ناكح في بني فلانٍ»، أي متزوِّجة فيهم. ونَكَحَ فلانٌ امرأةً يَنْكِحُها نِكاحًا، إذا تَزوَّجها. ونَكَحَها يَنْكِحُها: باضَعها أيضًا. وقال (الأعشى) في نَكَحَ بمعنى تزوَّج:

ولا تَقْرَبَنَّ جارةً، إنَّ سِرَّها
عليك حَرامٌ، فانْكِحَنْ أو تَأبَّدا

قال (الأزهري): وقوله عزَّ وجلَّ: «الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ»، تأويله لا يتزوَّج الزَّاني إلا زانية، وكذلك الزانية لا يتزوَّجها إلَّا زان. وقد قال قومٌ: معنى النِّكاح ههنا الوَطء. قال: وهذا القول يَبعُد لأنَّه لا يُعرَف شيء من ذكر النِّكاح في كتاب الله تعالى إلَّا على معنى التزويج. قال الله تعالى: «وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ»؛ فهذا تزويج لا شكَّ فيه. وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ». واعلم أنَّ عقد التزويج يسمى النِّكاح. قال (الجوهري): النِّكاح الوطء، وقد يكون العَقْدَ؛ تقول: نَكَحْتُها، ونَكَحَتْ هي، أي تزوَّجت. وفي حديث (معاوية): «لستُ بنُكَحٍ طُلَقَةٍ»، أي كثير التزوُّج والطَّلاق. وأَنْكَحَه المرأةَ: زوَّجَه إيَّاها. وأَنْكَحَها: زوَّجَها. وكان الرَّجُل في الجاهليَّة يأتي الحيَّ من العَرَب خاطبًا، فيقوم في ناديهم فيقول: «خِطْبٌ»، أي جئت خاطبًا، فيُقال له: «نِكْحٌ»، أي قد أنكحناك. قال (الجوهري): هذه كلمة كانت العَرَب تتزوَّج بها.(2)



ـ بل إنَّ كلَّ هذه الاستعمالات ما زالت معروفة عند العوامِّ في بعض لهجات الجزيرة العَرَبيَّة.
ـ لكن ما الحيلة، وقد تفرنجَ معظم العَرَب!
ـ أو تقمصصوا!
ـ التقمصص شأنٌ شائك القول به. لكن الأهم أنه لم يعُد لأكثرهم من العُروبة اللُّغويَّة غير اسمها؟!
ـ كيف؟
ـ كيف هذه تستدعي مساقًا آخَر، فإلى الأسبوع المقبل!

العدد 33 - مارس 2026 - السنة الثالثة

عاملات السخرة
معاناة لا تنتهي





د. جيهان الرفاعي

العاملات في الأراضي الزراعية: أيدٍ تبني، وأرواح تُستهلك

يعملن بجدّ وتعب، بلا كلل أو ملل. يبدأن يومهن قبل شروق الشمس، بعد أداء الأعمال المنزلية وتوصيل أبنائهن إلى المدارس، ويظللن يعملن حتى المغرب رغم المرض؛ لأن لقمة العيش صعبة، والغلاء طاحن، والأولاد لابد أن يتعلموا حتى لا يتعرضوا لنفس المصير. هذا ما يقوله لسان حال كل واحدة منهن.



يركبن سيارات "التراحيل" غير الآدمية، التي تشبه قفصاً حديدياً يأخذهن إلى العمل، ويعيدهن منهكات، لكن قلوبهن تبقى مليئة بالأمل. الثمار بأيديهن، والمعاناة بأجسادهن؛ يزرعن الأرض، لكنهن يحصدن الألم. أجسادهن حقول للاستغلال، وأرواحهن تُسحق تحت وطأة الخوف. صوتهن صامت، لكنه يهمس مطالباً بالعدالة. والصمت هنا ليس خياراً، بل هو القدر

الذي فُرض عليهن. كل حبة تراب تحمل عرقهن وتضحياتهن.
يعملن بشكل يومي بأجر زهيد لا يكفي لتكلفة وجبة واحدة في ظل الارتفاع الجنوني للأسعار. تعمل عاملات السخرة اليومية في مختلف الأنشطة الزراعية، مثل ري النباتات وجني المحاصيل وغيرها. يعملن ساعات طويلة دون راحة، ويتعرضن للخطر من الآلات الزراعية، والحشرات، والسموم. كما أنهن يعانين من نقص التغذية، والجفاف، والإرهاق. ورغم كل هذه المعاناة، لا يحصلن على أجر عادل، ولا يتمتعن بالحقوق الأساسية، مثل التأمين الصحي والإجازات المرضية، بل يتم استغلالهن وعدم دفع أجورهن دون أي محاسبة. وهذا انتهاك صارخ لحقوق الإنسان، وتجاوز للقيم الأخلاقية.





ولم تقف المهانة عند هذا الحد، بل يتعرضن للاستغلال وانتهاك حقوقهن من قبل زملاء وسماسرة وأرباب عمل. ففي العمالة الزراعية، يعتمد مقاولو الأنفار على السيدات؛ لأنهم يتعمدون إعطاءهن أموالاً أقل بكثير من الرجال. كما تتعرض العاملات الزراعيات للعنف بأشكاله المختلفة، والذي يبدأ بالتحرش الجنسي من مقاول الأنفار والرجال الذين يشرفون عليهن في الأراضي الزراعية، وصولاً إلى تعرضهن للضرب والإهانة، في ظل عدم قدرتهن على البوح والشكوى خوفاً من انقطاع مصدر رزقهن.



ويحدث ذلك وسط غياب الحماية القانونية لهن، وثقافة "العيب" التي تدفعهن إلى الصمت أمام التحرش بهن خشية الفضيحة. وقد أطلق العرف الاجتماعي عليهن لقباً يزيد من اعتبارهن غير آدميات، بل أرقاماً وآلات للعمل؛ فهن مجرد "أنفار".



مع حركة السيارة، تبدأ أولى الانتهاكات وسط هذه الكتلة البشرية؛ حيث ينتهز البعض فرصة اهتزاز السيارة ليحتكوا بأجساد الفتيات ويخدشوا حياءهن بكلمات جارحة. مع طول الطريق وضيق المساحة وشدة الزحام، يتكرر مسلسل الانتهاك اليومي للعاملات.

يقوم مقاول الأنفار بجمع عاملات التراحيل في سيارات متهالكة متجهاً إلى الحقل المراد جمع المحصول منه، في سيارات تجمع أضعاف الحمولة الطبيعية، مما يعرض هؤلاء لحوادث عديدة ليقع بعضهن صرعى لقمة العيش. يصعدن تباعاً إلى الصندوق الخلفي للسيارة، وكلما زاد العدد زاد تلاصق الركاب حتى يتحولوا إلى ما يشبه كتلة من اللحم، يتشبثون ببعضهم البعض اتقاء للسقوط.



وبعد وصولهن إلى الزراعات، تعمل كل منهن في صمت، وفوق رأسها غطاء يحميها من قسوة حرارة الشمس، ولكنه لا يمنع تصبب العرق على جبينها، ولا يقِي وجهها من الاحتراق من لهيب الشمس.

هذا هو حال قانون العمل المصري الذي لا يعترف بالعمالة الزراعية بشكل عام. فهذه الفئة خارجة

لذلك، يجب على المجتمع أن يتحرك ويطالب بحقوق هؤلاء العاملات، وأن يضمن لهن حياة كريمة، وتوفير بيئة عمل آمنة وصحية، ودفع أجور عادلة، وتوفير التأمين الصحي، وتوفير الإجازات المرضية والراحة اللازمة، ومحاسبة المستغلين، وتطبيق القانون.



عن إطار الحماية في القانون، وهذه ثغرة لابد من إيجاد حل لها. فلا يزال القانون يلفظ حقوق العاملات الزراعيات ولا يعترف بهن، رغم أنهن يمثلن ٤٠% من مصدر الإنتاج الزراعي المصري، ورغم أن المرأة تمثل ٤٨% من حجم العمالة الزراعية، إلا أنهن خارج حماية الدولة.
إذ ينص قانون العمل الموحد رقم ١٢ لعام ٢٠٠٣ على استبعاد العاملين بالمناولة (المقاولة)، والعاملين بالزراعة البحتة، وأبناء العاملين، من أحكام القانون.

أي لا يوجد أي إجراءات حماية لعمالة النساء الزراعيات من ظروف العمل القاسية التي يعملن فيها، من غياب شروط العمل، والأجور، وساعات العمل، وفترات الراحة، والإجازة، ورعاية الطفولة، وحظر تشغيلهن في بعض الأعمال الضارة، وحقهن في ساعات الرضاعة مثل أي امرأة في الدولة.

حلفاء عند الحاجة

كيف خَذَل ترامب "قسد" في اللحظات الأخيرة؟



قراءة تحليلية في خلفيات تراجع ترامب وتداعياتها الاستراتيجية

في شمال شرق سوريا، خلال يناير ٢٠٢٦، شهدنا تقاطعًا حاسمًا بين التحولات الميدانية والسياسات الدولية. فبعد سنوات من الدعم الأمريكي لقوات سوريا الديمقراطية (قسد) كشريك أساسي في هزيمة تنظيم (داعش)، انتهجت واشنطن نهجًا جديدًا فتح الباب أمام سيطرة الحكومة السورية على مناطق واسعة بقيادة رئيسها "الجولاني"،



د. علي المندلاوي

وتراجع دور "قسد" بشكل سريع. ما يحدث اليوم ليس مجرد تغيير في خطوط السيطرة، بل نكسة استراتيجية لشريك مخلص وأداة محورية في الحرب ضد الإرهاب. يدخل هذا في سياق سياسي أوسع يتصل بقرارات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وتقييمه لمصالح بلاده في المنطقة.

تراجع الدعم الأمريكي وانهيار دور "قسد"

فقد شهدت الأيام الأخيرة في سوريا انهيارًا سريعًا لدور قوات "قسد"، التي فقدت السيطرة على معظم أراضيها أمام تقدم الجيش السوري مع دخول اتفاق وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، مما دفعها لقبول دمج عناصرها داخل الجيش السوري تحت وطأة النار.

في إطار هذه التحولات، أعلن الرئيس الأمريكي ترامب دعمه رسميًا لـ"عمليات الجيش السوري ضد قسد"، وأضاف بأن الشرع "يعمل بجد كبير، وإنه رجل قوي وصلب"، في موقف مفاجئ وصادم تمثل في تحديد موقف صريح من جانب واشنطن لصالح الحكومة السورية التي كانت سابقًا طرفًا في مواجهة التنظيمات المسلحة، وفقًا لـ"سكاي نيوز عربية".

وفي مؤتمر صحفي من البيت الأبيض، حاول ترامب تقديم رواية ممزوجة بين الإعجاب بالأكراد وتبرير سلوكه، قائلاً إنه «معجب بالأكراد... لكنهم يفعلون ذلك من أجل أنفسهم أكثر مما يفعلونه من أجلنا... ونحن نحاول حمايتهم»، في محاولة لتبرير التراجع الأمريكي، حسب ما نقلته "رويترز".

هذا التصريح يعكس تراجعًا ملحوظًا في التزام واشنطن تجاه حليفها السابق، ويُظهر منطقًا جديدًا في السياسة الأمريكية يرتكز على حسابات مصالحها الخارجية المتقلبة بدل الثبات الاستراتيجي.

تداعيات التراجع: خسارة المناطق ودفع الثمن الأمني

مع تراجع دور "قسد"، واصل الجيش السوري تقدمه في المدن والبلدات التي كانت تحت سيطرة الأكراد، في مشهد تمكن فيه النظام من إعادة رسم مناطق النفوذ بموازين جديدة، محققًا تقدمًا في الرقة ودير الزور وحتى الحسكة.

إضافة إلى التقدم الميداني، ظهرت نتائج فورية مرتبطة بملف السجون ومراكز الاحتجاز التي كانت تدار من قبل "قسد"، حيث بدأ الجيش الأمريكي نقل عناصر تنظيم "داعش" المحتجزين في منطقة الحسكة إلى العراق، في خطوة تعكس فراغًا أمنيًا استُغل في إعادة توزيع المسؤوليات الأمنية في شمال شرق سوريا.

كل هذه المتغيرات تؤكد أن الخسائر لم تكن جغرافية فحسب، بل أمنية واستراتيجية أيضًا. فالانسحاب من مناطق واسعة وتراجع موقع "قسد" يعني أيضًا تراجعًا في الجهد الذي بذلته في محاربة "داعش"، وهو ما أثار مخاوف من تجدد نشاط التنظيم أو تحوله إلى خلايا نائمة.

القرار الأمريكي: مصالح آنية أم خيانة استراتيجية؟

هذا السياق الميداني يأتي في وقت أعلنت فيه إدارة ترامب أن دور "قسد" في الحرب على "داعش" "قد انتهى إلى حد كبير"، وأن الولايات المتحدة لم تعد ترى مصلحتها في الاحتفاظ بوجود واسع في سوريا. هذا التقييم، كما وثّقته مصادر دولية، يمثل نقلة سياسية في دعم واشنطن تجاه الجماعات الشريكة، ويؤسس لمنطق جديد في العلاقات مع حلفاء خارجيين يعتمد على الربح التكتيكي قصير الأمد بدلاً من الالتزام الاستراتيجي طويل الأمد.

من منظور تحليلي، يمكن القول إن ترامب يتعامل مع الأزمة السورية كما يتعامل مع الكثير من الملفات الخارجية: حسابات سياسية داخلية، رغبة في تقليل الارتباط الدائم بالخارج، ومحاولة مطاوعة الأجندات المحلية. وقد بدا هذا في تصريحاته التي قللت من حجم الدعم على أساس أنه دفع مبالغ مالية كبيرة، وذلك في محاولة لتقديم قرار الانسحاب كـ«خيارٍ لتقليل الإنفاق العسكري»، رغم انعكاساته الكبيرة على الأرض.

لماذا في هذا التوقيت؟ قراءة عوامل الخروج الأمريكي

ويمكن تفسير توقيت هذا التحول بعدة عوامل، أبرزها:

١. تراجع الرغبة الأمريكية في الالتزامات الخارجية الطويلة بعد سنوات من التورط في صراعات إقليمية مكلفة جدًا.

٢. ضغوط داخلية لتوجيه الدعم نحو ملفات قابلة للتسويق سياسيًا وانتخابيًا بدل الالتزامات بعيدة النتائج.

٣. تعاطٍ براغماتي ضيق من إدارة ترامب مع الملف، بوصفه استثمارًا مؤقتًا لا تحالفًا استراتيجيًا طويل الأمد.

التزامن بين هذه العوامل جعل التراجع الأمريكي مفاجئًا وغير منسق بشكل كامل مع "قسد"، مما وضعها في موقف ضعف أمام القوى الإقليمية والدولية المتنافسة.

حين تنتهي المصلحة يسقط الحلفاء... إلى إشعارٍ آخر

قرار ترامب الأخير بدعم الجيش السوري ضد قوات سوريا الديمقراطية، وفي الوقت نفسه التراجع عن دعم الحليف السابق، يشكل درسًا في هشاشة التحالفات الدولية حين تُدار وفق مصالح قصيرة النظر.

"قسد"، التي كانت شريكًا ملموسًا في هزيمة "داعش"، وجدت نفسها اليوم في سياقٍ استراتيجي جديد بات فيه وجودها محددًا بشروط دمجها مع مؤسسات الدولة السورية الحالية، بينما اختارت واشنطن ترجمة مصالحها الحالية على حساب الثقة والتحالفات الواقعية.

التطورات الجارية في سوريا ليست مجرد تغيرات ميدانية، بل انعكاس مباشر لسياسات تُدار من منطلقات ظرفية مصلحية، وتؤكد أن التخلي عن الحلفاء في اللحظات الحرجة يمكن أن يغير خارطة الاستقرار الإقليمي والأمن الاستراتيجي لأعوام قادمة، وربما لعقود.

• انعكاسات التحول الأمريكي على العراق :

ما جرى في سوريا ليس بعيدًا عن العراق، بل إن رسالته واضحة وقاسية: واشنطن تتخلى عن حلفائها عندما تنتهي الحاجة إليهم. إضعاف "قسد" يفتح ثغرات أمنية خطيرة على الحدود العراقية-السورية، ويزيد احتمالات عودة الإرهاب، فيما يدفع العراق ثمن قرارات لم يكن طرفًا فيها.

الأخطر أن هذا السلوك الأمريكي يعيد تأكيد حقيقة سياسية طالما تجاهلتها بعض الأحزاب السياسية والشركاء في الوطن: إن الرهان على الدعم الأمريكي وهمٌ مكلف. فحين تتبدل المصالح، تُترك الدول وحدها في مواجهة الفوضى. وما لم يبنِ العراق أمنه على قرار سيادي مستقل وتوازن واقعي في علاقاته مع دول الجوار، فسيبقى ساحة مفتوحة لارتدادات صراعات لا يملك التحكم بمساراتها.

انتهى مجلس النواب من اجتماعه بالموافقة على تعديل وزاري محدود، بإعادة تكليف الدكتور مصطفى مدبولي برئاسة مجلس الوزراء مرة أخرى. وبذلك، اقترب مدبولي كثيراً من مرحلة تسجيل أطول فترة لرئيس وزراء في مصر بعد المرحوم عاطف صدقي (الذي استمر ١٨ عاماً)... ولكن مع الفارق الكبير بين هذا وذاك.

الجدارة

عيد وحيده



نحن هنا لا نتحدث عن الماضي القريب، الذي كان كابوساً في حياة المصريين، وانتهى بثورة يناير العظيمة.

مدبولي، في مراحله المختلفة رئيساً للوزراء، كان بمثابة أحد بنّائي مصر الجديدة، ومنفذاً لرؤية القائد القوي الأمين عبد الفتاح السيسي. وقد أكد الرئيس على ضرورة أن تعمل الحكومة بتشكيلها الجديد على تحقيق عدد من الأهداف في محاور الإنتاج، والطاقة، والأمنٍ الغذائي، والمجتمع، وبناء الإنسان؛ تنفيذاً لشعار قائدنا (الجدارة)، الذي هو عنوان المرحلة (٢٠٢٦)، بعدما كانت المرحلة السابقة تحمل شعار (التوطين).

الجدارة هي ضمانة لتنفيذ المهام المطلوبة، كما قال الكتاب.
الجدارة هي التميز والامتياز.
الجدارة هي الوصول إلى أعلى نقطة احتراف في تنفيذ المهام؛ في الصناعة، والصحة، والتعليم، والزراعة، والاستثمار، والأمن الغذائي والقومي بمفهومه الشامل، والتسليح، وإعداد قوة غاشمة تردع العدو وتحفظ السلام.

الجدارة تتطلب وزراء جديرين بالمكان والمكانة.
الجدارة هي عنوان ما قاله قائدنا أثناء الاحتفال بعيد الشرطة الـ٧٤: "اللي مش قادر يشتغل... يمشي".
الجدارة تعني نشأة جيل من الشباب قادر على تسلم راية البلاد، وهو جدير بالحكم، ويتولى حقائب الوزارة من هم قادرون على تنفيذ فكر القائد.

المنضمون حديثاً إلى الوزارة والوزراء المستمرون من الحكومة السابقة، اتفقوا جميعاً على الجدارة وضمان كفاءة الأداء.
التوطين كان مرحلة، والجدارة هي الاستمرار.

نهنئ أنفسنا بتجديد الثقة لمدبولي، والذين معه من وزراء قدامى، وأيضاً للوزراء الجدد. الكل على قلب رجل واحد، تحت شعار الجدارة مشروع وطن، أراده قائد شريف في زمن عز فيه الشرف.

نتفائل بما هو قادم، فالقادم أفضل بإذن اللّٰه.
حفظ اللّٰه قائدنا.
حفظ اللّٰه الجيش والشرطة.
القوي الأمين... رزق.







الفصل الحادي عشر

من كتاب

الواحات المفقودة

للرحالة الجغرافي

أحمد حسنين باشا

الكتاب هو رحلة استكشافية محفوفة بالمخاطر في الصحراء المصرية الليبية

تقديم : عصمت ضيف الله الملهطاني



الطريق الى بئر الظيغن

الفصل الحادي عشر

• الأحد ١٨ مارس

قمنا الساعة التاسعة صباحًا ووقفنا الثامنة والنصف مساء، قطعنا ٤٦ كيلومترًا، وكانت أعلى درجة للحرارة ٢١ وأسفلها ٣، كان اليوم غائمًا والمساء صحوًا، أمطرتنا السماء رذاذًا بعد الظهر، وثارت ريح عاصفة من الشمال الشرقي تحوَّلت إلى زوبعة رمال في منتصف الساعة الثالثة، وسكنت الريح عند الغروب، ثم ثارت ثانية في الثامنة مساء، الشمس غائبة والدليل حائر بعض الحيرة في تحديد الجهات، كما أتبيَّن ذلك من ملاحظة البوصلة، ظهرت الشمس في منتصف الساعة السادسة، فأقام الدليل معوج سيره، ظهرت نجمة القطب في السابعة والنصف فاهتدى بها، وَيُسَمِّي العرب هذا النجم «الجدي».

الأرض منبسطة كعهدنا بها أمس، ولكنها متموِّجة الأديم قليلًا، يتناثر عليها «أكوام الصوان» الكبير القاتم اللون.

وأصبح الصباح فطرب رجال القافلة حين رأوا عند الأفق عقدًا من الأشباح ينبئ باقتراب طليعة قافلة، وتحققت القافلة بمنظاري، وأدرته على الرجال فنزعنا البنادق من أماكنها على ظهور الجمال، وأسرع رجال «التبو» إلى رماحهم، واصطف الجميع على ناحية القافلة القريبة من القادمين، وصوَّبوا الأنظار يَقِظِين يتأكدوا من سلام القادم أو عدائه.

ولم يمضِ بنا القليل حتى تيقنا صداقة القادمين، فتلاقى رجال القافلتين وجلسوا القرفصاء يتبادلون الأخبار، تاركين جِمالهم تسير بطيئة الخطو، وكان الحديث دائرًا عَمَّنْ تزوَّج أو مات أو أثرى متناولًا ما نشأ من طلب ثأر جديد، ومَا قَرَّ من عداء قديم، ثم قام الرجال مُوَدِّعين داعين بالتوفيق، ولحق كل فريق بقافلته، ولعمري إن هذه المقابلة الهفافة في صميم الصحراء هي عند العرب بمثابة البرقيات اللاسلكية.

• الاثنين ١٩ مارس

قمنا الساعة الثامنة والربع صباحًا وقفنا في الثامنة والنصف مساء، وقطعنا ٤٩كيلومترًا، وكان أعلى درجة للحرارة ٢٢ وأقلها ٥، وكان الجو صحوًا جميلًا، وقامت ريحقوية من الشمال الشرقي، وقرَّت عند الظهر، وانتشر في العصر سحاب صبير، وكانتالشمس شديدة الحرارة تَعُوقنا عن الإسراع في السير، حتى إذا حلَّ المساء، رطب الجو،فجددنا في السير، وكانت الأرض منبسطة صلبة يكسوها بساط من الحصى الرقيق. وفيالسادسة مساء، قطعنا منخفضًا من الأرض قد قامت على جانبه الأيمن صخرة رماديةاللون، وقامت على بعد كيلومتر منها إلى اليسار صخرة بيضاء.


بئر الحرش في الكفرة منطقة الظيغن

كنا في هذه المرحلة نَخُبُّ في السير، وكان البدو والعبيد يتسابقون ويقفزون، وعبيد التبو سُذَّج على الفطرة سليمو النية فقراء، حريصون على ما يملكون فيلبسون قميصًا من القطن وسروالًا يحافظون عليهما كل المحافظة، ويتمنون لو ظلَّا على أجسادهم أبد الدهر، فإذا امتطى أحدهم جملًا خلع سراويله خشية أن تبلى أو تتقطع، ثم علقها على ظهر الجمل، فإذا أراد النوم خلع ملابسه خيفة أن تَحتَكَّ بالرمال فتبلى، ويكتفي بالالتحاف بمعطفه الفرو. وحدث أن البدو أخذوا سراويل أحد العبيد وهو على ظهر جمله، ثم أخفوها فلما ترجَّل والتمسها فلم يجدها، خاف أن تكون قد زلَّت عن الجمل وسقطت على الأرض في بعض نواحي الطريق، فأسرع بالعودة جاريًا ملء ساقيه يبحث عن ضَنائنه، وأوغل في الصحراء حتى لم يبن منه إلا شبح ضئيل في ذلك المنبسط الممتد من الرمال؛ فأشفقنا عليه وأطلقنا النار ندعوه، فعاد بعد تردد وانضمَّ إلى القافلة كاسف البال، غير أن طرب المازحين به كشف له سرَّ الأمر فَرُدَّت إليه سراويله، وكان سروره باسترجاعها شديدًا فلم تغظه تلك المداعبة الثقيلة.

وحدث في الليلة الماضية أن أغار الجِمَال على خيمتي وهددتني بهدمها عليَّ، والإبل دواب شديدة الذكاء تحب أن تَحُكَّ رقابها على حبال الخيام فإذا نام رجال القافلة، جاست خلال الخيام تطلب ذلك، فيدخل أحدها رأسه من ثنايا الخيمة حتى يتحقق نومي، فإذا لم يسمعني أنهره، علم أني غارق في سبات عميق، فأخرج رأسه ثم بدأ في حكِّ رقبته على الحبال، وبعد قليل ينضم إليه الكثير من إخوانه، ثم يأخذ الجميع في هذا العمل حتى أفرغ من نومي ظنًّا مني أن العواصف الشديدة تزعزع أركان خيمتي.

ومرت بنا الأيام فما ازددت إلا وثوقًا بأبي حليقة وتقديرًا له، فقد كان رجلًا قليل الكلام ذا قلب كبير ونفس خيِّرة، وكان موضع احترامنا جميعًا لكبر سنه وشيبه؛ لأن رجال الصحراء يجلون رجل التجاريب الذي لقنته السنون دروس الحكمة؛ ولذلك كنت أنا

والسيد الزروالي نستضيء برأي أبي حليقة من وقتٍ لآخر، وكان حاذقًا في عرض آرائه عليَّ، وكانت من العقل بحيث أقدرها حقَّ التقدير، وكان دائم العناية بِجِماله، لا يني سحابة يومه عن إرسال صوته الرنان في الفينة بعد الفينة يخاطب رجاله أو جِماله، فيقول لعبده إبراهيم: «إن الجمل الأبيض تعب؛ فلتخفِّف بعض أثقاله في الغد وتضعها على ظهر الجمل الأسمر.» ثم يلتفت إلى بقية الرجال، فيقول: «ناجوا الجمال أيها الرجال وغَنِّها صوتًا يا إبراهيم.» وما أصدر أبو حليقة هذه الأوامر إلا لعلمه أن التشجيع يدفع الإبل إلى الإيجاف في السير، ثم ينادي جماله فيقول: «ابتغي الدليل أيتها الإبل العزيزة.» وينظر إلى حمد فيقول: «ناشدتك الله يا حمد إلا عدلت سرج هذا الجمل فإنه يؤذيه.» ويظل على هذه الحال من الإشراف على القافلة، حتى إذا انتشر الشفق قال: أوقدوا السراج؛ فإن الجِمال تحب النُّور.

وإنما تظهر قيمة الجمل بعد اختبار طويل، فهو ذكي كالجواد إن لم يكن أذكى منه، وهو أطيب منه نفسًا في بعض الأحايين؛ فإن العرب تقول بحق: «هذا الرجل صبور كالجمل.» وإن آذى رجل جملًا حمل الأذى في نفسه، ولم ينتقم على الأثر، ويصبر له حتى يتكرر الأذى منه، فيفكر في الانتقام ولا يوقعه به والقوم حوله، بل ينتهز فرصة انفراده به ليجزيه الجزاء الحق، فَيُغِير عليه ويلقيه على الثرى أو يرفسه ثم يطأه بخُفَّيه.

وقد حدث أن جملًا داس أحد الرجال ثم بَرَك عليه وأبى أن يتحرك عنه، رغم ما لاقى من ضرب رفقاء ذلك التَّعِس الذين جَرَوا لإنقاذه، وظل الجمل باركًا فوقه حتى مات.

وقد يظن البعض أن جمال القافلة يُربَط بعضها إلى بعض ويقودها الدليل، ولكن الواقع أن الجمل يصعب إبعاده عن بقية القافلة؛ لأنه يَعرِف بغريزته أن تركه وحيدًا يجلب عليه الموت؛ ولذلك يظل ملتصقًا بالقافلة جهد الطاقة، وإن لم يُربَط إلى سائر إخوانه.

ومن آلم المناظر رؤية جمل جهد في الطريق، وهو يحاول اللحاق بالقافلة؛ فإنه يحكي إذ ذاك الجندي المحارب أثناء التقهقر، يعتريه الجهد والإعياء فلا يستطيع مسايرة إخوانه الجنود،

وهو في الوقت نفسه يعرف أنه ليس في ميسور أحدهم أن يحمله ويسير له، كما يعرف أن في التخلف عنهم موته المحقق.

ويُظهر الجمل ذكاءً شديدًا بعد إخراجه من الواحة والقذف به في الصحراء؛ فإنه يحاول في المساء أن يتسرَّب فيعود إلى الواحة، وإن مرَّ على تركها ثلاثة أيام أو أربعة، وقد وقعت غيرُ مأساة للقوافل التي تركها جِمَالها ليلًا ضاربة في أحشاء الصحراء، أو قافلة إلى معاطنها والرجال على بعد أيام من البلد الذي يقصدونه، وربما حدث حادث للقافلة يمنع رجالها من إتمام رحلتهم، فتتمها الإبل التي طرقت تلك السبيل سنين عديدة وخبرت دروبها.

وقد حدث بينما كنا نقترب من جالو بعد تركنا خيام البدو الذين استكرينا ثلاثة من جمالهم، أن جملًا فتك به الداء وانقطع أملنا منه، فَقَسَّمَ أصحابه حمله على الجملين الآخرين، وَتُرِكَ في الصحراء رغم إلحاحي عليهم بقتله ليرحموه من آلام الموت البطيء، وقد عرضت عليهم ثمن الجمل، إن سمحوا لي أن أقضي عليه ولكنهم رفضوا قائلين: «إن هذا الجمل كريم الأصل، وهو منهوك القُوَى لا يلبث أن يعود إلى خيامه بعد أن يستريح.» وقد علمت بعد ذلك أن الجمل عاد فعلًا إلى معطنه، وأنه أجود صحة.



ويحسُّ الجمل أن له دليلًا، فإذا وقفنا في وسط الصحراء نتناقش في أمر السبيل الذي نسلكها، اجتمعت الجمال حول الدليل حتى يسير، فتتبعه غير حافلة بسائر رجال القافلة.

ولا يتقدم الجمل الدليل في العادة، فإذا سار قدامه غير حافل به، فاعلم أن الصلاح في اتباع ذلك الجمل؛ إذ من المحقَّق أنه يعرف المكان الذي تريده القافلة.

ويقول البدو: إن الجمل الذي رعى مرة في واحة لا يُخطئ السبيل إليها، وإن فصلتهما الأيام الطوال، وللبدو قصة منافسة مشهورة يزعمون أنها وقعت بين قطاة الصحراء والجمل. تقول القطاة: «إني لأضع بيضي في الصحراء وأطير أيامًا ثم أعود لفقسه.»

ويجيب الجمل: «إن أمي إذا شربت من بئر ولم أزل في بطنها سافرت أيامًا، ثم عدت فشربت من نفس البئر.»

وقد رأيت بعيني جملًا تقدَّم القافلة ونحن على مسيرة أربعة أيام من بئرٍ ذاق ماءها قبل ذلك بأربع سنوات، ويعرف الناس قصة عن جمل أنقذ قافلة في سفرها من الواحات الداخلة إلى واحة العوينات، كان دليل تلك القافلة موغلًا في الصحراء متبعًا في سيره وصف أحد أصدقائه فأخطأ السبيل؛ لأنه لم يطرقها من قبل وهامت القافلة على وجهها اثني عشر يومًا، ونفد الماء وفقدوا الرجاء، فاندفع الجمل بغتة وتقدم القافلة، فسارت في أثره ونجت؛ لأن ذلك الجمل سافر إلى العيونات قبل ذلك ببضع سنين، فنشق الماء، كما يقول البدو، على مسيرة يومين وأوصل القافلة إلى إحدى الآبار.

ويستطيع الجمل المتدرب أن يسافر أسبوعين في الشتاء من غير أن يذوق الماء، وقد يصبر في الصيف اثني عشر يومًا، ويعلف البدو جمالهم حشيشًا إذا

ويجيب الجمل: «إن أمي إذا شربت من بئر ولم أزل في بطنها سافرت أيامًا، ثم عدت فشربت من نفس البئر.»

وقد رأيت بعيني جملًا تقدَّم القافلة ونحن على مسيرة أربعة أيام من بئرٍ ذاق ماءها قبل ذلك بأربع سنوات، ويعرف الناس قصة عن جمل أنقذ قافلة في سفرها من الواحات الداخلة إلى واحة العوينات، كان دليل تلك القافلة موغلًا في الصحراء متبعًا في سيره وصف أحد أصدقائه فأخطأ السبيل؛ لأنه لم يطرقها من قبل وهامت القافلة على وجهها اثني عشر يومًا، ونفد الماء وفقدوا الرجاء، فاندفع الجمل بغتة وتقدم القافلة، فسارت في أثره ونجت؛ لأن ذلك الجمل سافر إلى العيونات قبل ذلك ببضع سنين، فنشق الماء، كما يقول البدو، على مسيرة يومين وأوصل القافلة إلى إحدى الآبار.

ويستطيع الجمل المتدرب أن يسافر أسبوعين في الشتاء من غير أن يذوق الماء، وقد يصبر في الصيف اثني عشر يومًا، ويعلف البدو جمالهم حشيشًا إذا

أمكنتهم الفرص حتى إذا رموا بها في الصحراء أطعموها بلحًا جافًّا أو شعيرًا. وأغلب جمال برقة إبل «حملة»، وأسرع الإبل عدوًا جمال قبيلتي «التبو» و«الطوارق» التي تمتاز ببياضها ونحافة أوصالها ورشاقتها، ويقطع جمل الحملة ٢٥ ميلًا في اليوم، ويسير الهجين الطوارقي أربعين ميلًا، وربما قطعن ستين دفعة واحدة.

وقد يكون الجمل مخلصًا لصاحبه محبًّا له، فإن الناقة الكريمة لا ترضى ممتطيًا لها غير صاحبها، والعادة أن يُحْمَل الماء على ظهور الجمال الْمُسِنَّة الرزينة التي لا يُخْشَى من نزاقتها على ما تحمل من الْقِرَب، وهي تعلم أنها تحمل أعزَّ حوائج القافلة، فإذا انتهى سير اليوم، وحانت ساعة رفع الأحمال، انتحت ناحية بعيدة عن بقية الجمال؛ خوفًا على الْقِرَب التي تحملها من الاصطدام وانبجاس ما تحمله من الماء.

وقد رأيت جمالًا تحوم حول الخيام، ثم تقترب من قِرَب الماء الملقاة على الأرض بعضها إلى بعض، وهي مغطاة بحيطة وتحفظ؛ حتى لا تطأها بأقدامها، كأنها تشعر بقيمة تلك الْقِرَب، وأهمية ما تحويه من المياه فتدور حولها. وقد اخترت جملًا فأخذته مدة طويلة يحمل خيمتي وكتبي وأجهزتي العلمية، وإنما وقع اختياري عليه لقوته وكبر سنه، وكان من عادته إذا أصبح الصباح وبدأت عملية التحميل أن يقصد خيمتي من تلقاء نفسه، ثم يبرك بالقرب منها؛ انتظارًا لوضع الأحمال فوق ظهره.

والجمل بعل غيور والناقة زوج مخلصة، والناقة لا تترك سيدها ووليها من الجمال فتتبعه أينما ذهب، والويل للجمل الذي تحدثه نفسه بالاعتداء على ناقة جمل آخر.

وقد اعتدتُ كل صباح ومساء أن أساير أبا حليقة وأحادثه عن الجِمال والصحراء وتاريخ البدو، فكنت لا أجبهه بالأسئلة تفاديًا من إساءته الظن بي؛ لأن البدو سريعو الريبة يشكون في الدافع إلى سؤالهم، وكنت رغم حبي للعرب وبلادهم، أجد نفسي مضطرًّا إلى تجنب ما يثير الشكوك، والتحايل في الحديث على فهم الكثير من الآراء والمعلومات.

وقد قال لي ذلك الشيخ الوقور: «أتى على قومنا حِينٌ من الدهر كانوا يجهلون فيه الكفرة،

ولاحظ بدوي من قبيلة الغوازي في الأبيض – وهي واحة صغيرة قريبة من بئر أبي الطفل – أن غُرابًا دأب على الطير صوب الجنوب، كلما أشرقت الشمس، والعودة ثانية بعد ذلك، فراقبه البدوي زمنًا طويلًا، ثم قام يتبعه في مطاره إلى الجنوب، وأوغل في الصحراء حتى وصل واحة «تيزربو» فقضى أيامًا في ظاهر الواحة، ولقي الماء الذي يرجعه إلى وطنه، فرجع وأخبر إخوانه بوجود نخيل وماء في صميم الصحراء، فاجتمعوا وأغاروا على «تيزربو» وافتتحوها، ثم تقدموا إلى «بوزيمه» و«ربيانه» و«الكفرة»؛ وهذه هي الطريقة التي وصل بها البدو إلى الكفرة.»

وراقني جواد أبي حليقة منذ رأيته أول مرة في جالو، فتاقت نفسي إليه، وسأل عبد الله إن كان في الإمكان شراؤه، فطلب فيه صاحبه ثمنًا باهظًا؛ ولذلك أظهرت عدم الاهتمام وتركت الأمر للظروف. وكان أبو حليقة لا يسمح لأحد من أفراد أسرته بركوب هذا الجواد؛ لأن كرامته لا ترضى ذلك ولكنه تفضل فسمح لي أن أمتطيه كلما أردت الركوب، فأكثرت من ركوبه حتى خُيِّل أني صاحبه دون أبي حليقة.

وتعب ثلاثة من الجمال فبركوا من غير أن يأذن لهم أحد، وليس من عادة الجمال أن تفعل هذا، ما لم يكن هناك سبب قوي، فرفعنا أثقالهم طلبًا لإراحتهم، وأضعنا بعض الوقت في ذلك، ولكنا استعضنا ما فقدناه في نسيم المساء.

وقد وضعت نُصب عينيَّ أن أحادث يوميًّا كل رجل من رجال القافلة؛ فسهَّل ذلك مجرى الأمور، ومكَّنني من استقاء بعض المعلومات من وقت لآخر، فعلمت أن البدوي يميز أثر جماله ويمكنه أن يتبين إن كانت الجمال التي سبقته في الطريق ملكًا لرجال قبيلة مجاورة له أم لا. ويُعرَف أيضًا جمال التبو من شكل أخفافها واقتفاء خطواتها، وجمال التبو أصبر جمال البدو على السير، ويمكن استخدامها في الشمال بصحراء برقة، وفي الجنوب بأراضي السودان، والكفرة محطة لاستبدال جمال القوافل التي تسير شمالًا وتنحدر جنوبًا.

وقد أخبرني الدليل أبو حسن بحيلة يعملها البدو حين يطلقون جمالهم أو ماشيتهم ترعى، فإنهم يحلبون الإبل

والماعز في الصباح ويدفنون قِرب اللبن حتى يظل رطبًا، ولكن لصوص الصحراء من المهارة بحيث يعرفون مخابئ هذه الْقِرَب؛ ولذلك يدفن العربي الماكر قِرْبتين إحداهما تحت الأخرى، ويملأ السفلى منهما لبنًا عذبًا والعليا لبنًا حامضًا، ويقع اللص على الْقِربة العليا فلا يبحث عن غيرها، وهكذا يجد صاحب الْقِرَب لبنه العذب سالمًا عند عودته مساء.

ورأينا أسرابًا من صغار الطير تخفُّ إلى الشمال، وكان بعضها من التعب بحيث أقبل على ما قدَّمنا له من الماء، وقد جثم أحدها على يدي ليشرب، ويرى الإنسان على مقربة من الآبار النزرة الماء، نثارًا من الأجنحة والريش والعظام، يفصح عَمَّا حدث لأصحابها من مأساة. فقد تكون هذه البقايا آثارًا لبعض الطيور الرَّحَّالة، التي وقعت على البئر وقضت أيامًا على حافتها تسترد قواها لاستئناف المطار، وتعيش على الماء الذي لم تجد صعوبة في الوصول إليه؛ نظرًا لأن بعض القوافل حفرت تلك البئر حديثًا، وتأنس الطيور إلى تلك البئر، ثم تنهال الرمال عليها شيئًا فشيئًا حتى تملأها، فيجف الماء ولا يبقى من البئر إلا ثرى من الرمل ندي، فتموت الطيور عطشًا. وربما وصلت الطيور إلى تلك البئر الجافة وقد أنهكها التعب، فعجزت عن الطيران مائة ميل أو مائتين للبحث عن الماء، فظلت مكانها حتى تموت عطشًا.


بيت السيد العابد السنوسي بالكفرة

ومررنا في الساعة العاشرة والنصف صباحًا بتلال من الرمل تُسَمَّى «الخويمات»، على بعد ثمانية أو عشرة كيلومترات من يسارنا، وكانت هذه التلال، كاسمها، تحكي خيامًا صغيرة بيضاء قد نُصِبت على رمال الصحراء. وفي منتصف الساعة الخامسة مساء، رأينا عن يسارنا على بعد ثلاثين كيلومترًا، علمًا يُسَمَّى «الفريِّق» أي فريق صغير من التلال المتجاورة؛ وهو عبارة عن أربعة تلال رملية على صفٍّ واحد. وفي الساعة السادسة وربع، لحظنا قمة علم آخر في الجهة الجنوبية الشرقية يُسَمَّى «المعزول»، وقد سُمِّيَ كذلك لأنه بمعزل عن بقية التلال،

وكان هذا العلم غير واضح لبعد المسافة.

وقد أنعش نفوسنا رؤية هذه الأعلام، واستدللنا منها على تقدمنا في السير، وزاد فينا اليقين أن دليلنا رجل قادر بالرغم من أن البدو يقولون في أمثالهم: «لا يُعْرَف الدليل الماهر إلا بعد الوصول إلى البئر.» ولهم الحقُّ في ذلك؛ لأنهم في الطرق الخالية من الأعلام لا يتحققون صدق الطريق إلا في نهاية المرحلة.

وأظهر السنوسي أبو حسن حدَّة بصره العجيبة، حين أخبرنا في بكرة الصباح قبل حل خيامنا أنه رأى علم «الخويمات» رغم ضباب الصباح، ولم يتمكن رجال القافلة من تحقيق هذا الخبر حتى رأوا العلم بأعينهم بعد ذلك ببضع ساعات، ومررنا في طريقنا في العصر بهياكل بيضاء لبعض الجمال، فكان لذلك في نفوسنا فرح شديد، ولا عجب في ذلك فالبدوي يحب رؤية عظام الجمال لسببين أولهما: أن أي شارة تدل على مرور أحد قبله تشجعه على السير في تلك المفاوز المتشابهة، وثانيهما: أن عظام الجمال أكثر ما تكون على مقربة من الآبار؛ لأن الجمال أكثر ما تكون تعرضًا للموت في نهاية الرحلة، حين يرهقها أصحابها وقد عزَّ الماء، ولا يحب البدو أن يستعملوا كلمة هيكل للدلالة على بقايا تذكِّرهم بالموت؛ فيطلقون عليها كلمة غزال.

• الخميس ٢٢ مارس

صحوت في منتصف الساعة السادسة صباحًا، فشاهدت شروق الشمس عند الساعة السادسة و٢٧ دقيقة وقيَّدت ذلك، وبدأنا السير في الساعة الثامنة فقطعنا ٤٨ كيلومترًا في أراضي منبسطة من الرمل المتماسك والحصى، وقد ظلت تلال «المعزول» طول الصباح عن يسارنا على بعد ٢٥ كيلومترًا، ولكنا تجاوزناها بعد الظهر.

وقد سمعت في الصباح مناقشة بين الزروالي وعبد الله في أمر تلك الأصقاع الممتدة التي كنا نقطعها.

قال الزروالي: «إن أرضنا مقدسة.»

فردَّ عليه رجل مصر ساخرًا قائلًا: «نعم؛ إن لها مستقبلًا عجيبًا، وإني لأعتقد أن سيكون فيها موقف الحشر؛ لأنها المنطقة الوحيدة التي أوجدها الله سبحانه وتعالى حفراء قفراء واسعة بحيث تسع العالمين.»

وكان عبيد التبو يجرون يمينًا ويسارًا ويتقدمون القافلة للبحث عن روث الجمال؛ ليتخذوا منه وقودًا، فقد اعتادوا أن يعيشوا بمعزل عن بقية أفراد القافلة، ومالت نفوسهم إلى الاستئثار بنار خاصة، يوقدونها ليلًا على مسافة قصيرة من مضرب الخيام. وكان روث الجمل كل ما تصل إليه أيديهم من الوقود، فكانوا يستفيدون من سرعة عَدْوهم، ويحيدون عن طريق القافلة مسافات، بلغت أربعة أميال في بعض الأحايين للبحث عن هذه المادة الثمينة!

وكان البدو لا يرضيهم عادة هؤلاء العبيد من سبق القافلة وجمع الروث، ولكن العبيد لم يخرجوا في ذلك عن قوانين الصحراء التي تقول: «إن أول مَنْ يضع يده على شيء في الطريق مالك له بدون منازع.» ولكن البدو كان لهم حجة يدفعون بها هذا الحق، فكانوا يقولون للعبيد: «ليس لكم دليل يتقدمكم، ولا أنتم راضون أن تتقدموا القافلة خوفًا من حمل جمالكم على السير بضرب العصى، وتنتهزون الفرصة فتتركونها لأنها تتبع جمالنا، وتجرون لجمع الروث؟» ويقول العبيد: «تريدون أن نقود جمالنا فتسبقونا إلى جمع الروث الذي هو ملك لنا؛ لأنَّا أول مَنْ يعثر به وأنتم سائرون إلى جنب إبلكم.» واشتد النزاع بينهم فسألوني حكمي، فقضيت أن الحق في جانب البدو، وأن ليس للعبيد حق في الاستئثار بالروث، ولكني مع هذا كنت لا أمنع إعطاء العبيد طعامًا ساخنًا من المؤن العامة كل مساء؛ لفقرهم المدقع، ولقلة ما لديهم من المؤن التي جاءوا بها لأنفسهم.

ويختلف عبيد التبو عن البدو في كثير من الخصال والعوائد؛ فالعبيد قلما يستعملون النار في تحضير طعامهم، وإن أَنِسوا إليها وفرحوا بها وهم يُجفِّفون لحاء النخلة عند قمتها ويطحنونه، ويصنعون من ذلك مسحوقًا يضيفون إليه بلحًا وجرادًا مسحوقَيْن، وهم لا يدعون أحدًا إلى اقتسام طعامهم كما يفعل البدو، ولا يتأخرون عن تلبية الداعي إلى طعامه، والبدو يأخذون عليهم هذه النقيصة.

وعبيد التبو يتعمَّدون أن لا يتركوا في طريقهم شيئًا من أشيائهم؛ لأنهم يخافون خرافة مؤدَّاها: أن مَنْ يلتقط شيئًا سقط منهم، لا بد أن يستولي

عليهم يومًا من الأيام.

وهم قوم ذوو أجسام متينة البناء، أهل جد وعمل، ولكنهم شديدو السذاجة في نظام معيشتهم وتفكيرهم، على أنهم الآن آخذون في الاختلاط بالبدو ومحاكوهم في كثير من طبائعهم.

ومرض أحد الجِمال في ذلك اليوم، فلازمه أبو حليقة ثم حجمه عند ذيله، ورجونا أن يكون أتمَّ صحة بعد راحة الليل.

وكان معنا المقدار الكافي من الماء، فاتفقنا أن نتناول كوبًا من الشاي، فتقدمت القافلة مع أبي حليقة والزروالي وعبد الله، وأخذنا الدليل حتى يحدِّد لنا الطريق السويَّ حتى إذا صرنا على مسافة كافية، أسرعنا في إيقاد النار، وغلينا الشاي، ولحقت بنا القافلة، فناولنا كل رجل يمر بنا كوبًا من الشاي، ولم تقف القافلة عن السير أثناء ذلك حتى إذا مرَّ بنا آخِرُ الجمال، جمعنا حوائجنا ولحقنا بالقافلة، وهي تسير سيرًا بطيئًا، وكان أبو حليقة يمتطي جمله والزروالي وعبد الله يركبان جملًا واحدًا، وكنت معتليًا ظهر الجواد.

ولا يسعني هنا إلا الإقرار أن الجواد «بركة» كان شديد النفع لي في كثير من المواقف، فكنت أجمع به الإبل من مراعيها التي لا تتركها إلا بعد تردد وامتناع شديدين، وكنت أركبه لزيارة الأماكن الشيقة إذا وقفنا في واحة من الواحات، تاركًا الإبل تستريح أو ترعى، وكنت أتقدم به القافلة وأتخلف عنها؛ لعمل بعض الملاحظات أو الحصول على بعض العينات الجيولوجية، وكنت أظهر فوق متنه بمظهر لائق بشيخ في طليعة قافلته حين تدخل واحة أو تتركها.

الجمعة ٢٣ مارس

قطعنا ٣٦ كيلومترًا وهبَّت في ليلة الأمس ريح قوية من الشمال الشرقي، بدأت في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وظلت الريح تهب طول النهار، واشتدت بين الساعة الواحدة والثالثة ولم تقر إلا عند المساء، وكان الجوُّ معتدلًا صحوًا قرب المساء، ورأينا في الساعة الخامسة مساء تلال الرمل المسمَّاة «المعازيل» على مسافة ٢٥ كيلومترًا في الجهة الجنوبية الشرقية.

وراق الرجال أن يسيروا عامة اليوم، فأبدوا مجهودًا كبيرًا للبدء بالسير في الساعة الثامنة قاصدين أن يمشوا ١٢

ساعة، ولكن الجمل المريض عاقنا عن تحقيق هذه الفكرة، فقد ضعف حتى اضطررناه إلى النهوض حين حان وقت الرحيل، وهز أبو حليقة رأسه، ثم قال: «سيكون لحم هذا الجمل طعامًا لنا قبل انتهاء اليوم.» وبعد ذلك بساعتين برك الجمل وأبى أن يقوم فذبحه رجال أبو حليقة بعد ذلك بقليل، وتركنا ثلاثة رجال وجملين لحمل لحمه واللحاق بنا، ولم نكد نسير قليلًا حتى جاءني أبو حليقة يتخطر على ظهر جمله، ثم قال: «إنه جمل سمين فلنقف قليلًا.»


السيد العابد السنوسي وكيل السيد إدريس وابن عمه بالكفرة

ووقفت القافلة لعلمي بميل البدو إلى أكل اللحوم، وأوقدت النار وأُدِيرت الشواء على الرجال، فأكلوا إلا أنا وخادمي المصريان، وسألني أبو حليقة عن امتناعي، فأخبرته أني لا أميل كثيرًا لأكل لحم جمل مريض، فقال: «إنه خير من السمك الصغير — يريد علب السردين التي كانت معنا — فقد رأينا الجمل يُذبَح، ولكن مَنْ يدري ماذا أصاب هذا السَّمَك الصغير بعد إخراجه من البحر.»

وجفف البدو ما بقي من لحم الجمل، ثم نسلوه خيوطًا دقيقة يضعونها في أرزهم وعصيدتهم بعد ذلك، وعند استئنافنا السفر بعد الظهر، قال لي أبو حسن: «سنسير حتى يغيب الهلال فنتمكن بذلك من تناول غذاء باكر عند البئر.» ولكن «الجدي» حجبته السُّحُب قبل أن يغرب القمر، فاضطررنا إلى الوقوف وضرب الخيام عند الساعة العاشرة والنصف مساء؛ خيفة أن نضل الطريق.

ولم يكن في هذا الجزء من الصحراء شيء يستكشفه الإنسان فيما يرى حوله، ولكنه يسمع في ذلك السكون نجوى نفسه، فتستجيش عواطفه، ويزيد هذا الشعور فيه أن نَسِي المدن والتفكير في العودة إليها، وعاش للساعة التي هو فيها؛ فاستمد منها كل سرور وطرب.

ورأيت السيد الزروالي عند الغروب يخط في الرمل لمعرفة البخت كما يقول البدو، وكان يرفع عينيه من وقتٍ لآخر، فيتركهما تهيجان بين ثنايا ألوان الغروب الزاهية؛ لأن البدوي لا يتمالك نفسه من أن يحب الطبيعة ويُقدِّر جَمالها.

وتعاقبت الأيام متشابهات، وكانت الصحراء خالية من الأعلام ليس فيها إلا بعض هياكل الجمال أو الحصى الصغير، حتى إنه ليُخيَّل لرائي الصور التي أخذتها في تلك الجهات في بحر سبعة أيام، أنها تُمثِّل مضرب خيام واحد صُوِّر من جهات مختلفة، وهكذا لم يكن هنالك شيء يشغل العقل، أو يقطع خيط التفكير.

يا لها من صحراء خلَّابة ساحرة، تستهوي العقول بما فيها من وحشة وعزلة! ففي تلك الفيافي المترامية، وذلك القفر الموحش، يتجرد العقل والجسم من أدران الحياة، وفي ذلك الفضاء الشاسع تقضي اليوم بعد اليوم وتقطع الليلة بعد الليلة ... ويُخيَّل لك أنك ستستنفد سنوات حياتك، السنة بعد السنة، والعقد بعد العقد دون أن تجد منه مخرجًا أو له آخر، وفي تلك اللانهاية، ترى نفسك وقافلتك ذرَّة من ذرات الرمال التي تطؤها قدماك، وتتجلى لك عظمة الله وقدرته، وتتضاءل نفسك في عينيك، وتشعر بأن وسائلك في المدن لا تغني فتيلًا في الصحراء، وتحس أنك ضعيف الحَوْل، قليل الحيلة، لا سبيل لك إلا أن تهديك يد القدر.

• السبت ٢٤ مارس

صحونا متْعَبين في الخامسة والنصف صباحًا؛ لأننا لم ننم ليلة أمس إلا الساعة الثانية صباحًا، وكان اليوم صحوًا، وهبَّ نسيم من الشمال الشرقي في الصباح، وقرَّ عند الظهر فزاد في دفء الجو، وقامت ريح شديدة من الشمال الشرقي في العاشرة مساء.

وأخذت نواحي الصحراء تتغير قليلًا منذ التاسعة والنصف صباحًا، فزادت نعومة الرمل وتجعد أديم الصحراء قليلًا، ومررنا في الساعة العاشرة بأكوام من الحجارة السوداء في تلك الهشمة التي ظللنا نراها سحابة اليوم، ورأينا عند الظهر عن يميننا أول أكداس الحطب في وادي الظيغن، وحططنا الرِّحال في الساعة الثانية إلا ربعًا لتناول طعام ساخن، وكان ذلك على مقربة من الحطب الذي لقيناه في تلك الساعة؛ لأن وقودنا كان قد نفد في اليوم السابق، فلم نتناول شيئًا ساخنًا منذ صباحه، وشاهدنا في الساعة الخامسة والربع تلالًا من الرمال على بعد ٤٠ كيلومترًا في الجهة الجنوبية الشرقية، وكانت هذه التلال على هيئة خطٍّ منحدر إلى الجنوب صوب وادي «الظيغن»، وفي منتصف الساعة التاسعة لاحظنا ازدياد أكداس الحطب في تلك المنطقة.

وقد رجونا عند بدئنا السير في الصباح أن نصل «الظيغن» ذلك اليوم، ولكن رجاءنا خاب، واختلفت الآراء في معرفة السبب الذي دعا إلى ذلك التأخير، فقال أبو حليقة: «إن الدليل قد حاد غربًا عن جادة السبيل، وإلا كنا وصلنا البئر قبل هذا.» ولكن السيد الزروالي الذي اختار الدليل دافع عنه، فقال: «إنَّا أضعنا وقتًا في ذبح الجمل وشيِّه وأكله.» وفسَّر حامد ذلك التأخير، فقال: «إن الرجال لا تستحث الجِمَال للسير؛ فإن بعضهم يغفى طويلًا في الطريق، ثم يصحو على مهل فيرى القافلة لم تغب بعدُ عن بصره.» وإنما قال حامد هذا لأن بعض البدو كان يخرج عن خطِّ القافلة، ثم يغفى نصف ساعة أو أكثر، حتى إذا صحا لحق بالقافلة، من غير جهد شديد؛ نظرًا لبطء السير ووجود أثر القافلة على الرمال.

وقد ذكرت إذ وقفنا النار لِطَهي أول طعام ساخن نتناوله بعد مرور ثلاثين ساعة، أن تلك الجهة هي التي ضللنا فيها الطريق في رحلتنا السابقة إلى الكفرة سنة ١٩٢١.


مبانٍ صغيرة في الكفرة
يستعملها البدو لخزن غلالهم

وبعد الفراغ من تناول الطعام تركنا داود عمَّ الزروالي إلى «تيزربو» التي تبعد عن «الظيغن» مسيرة يوم إلى الغرب، وكان قصده أن يعود بزوجه وبنته إلى برقة حيث يمكنه أن يجد عملًا أوفق له، وزاد أمله أن السيد الزروالي رضي أن يمدَّ له يد المساعدة في مركزه الجديد، ولم يكن من السهل على ذلك الرجل المسن أن يعود بامرأتين فيخترق الصحراء شمالًا إلى برقة، وليس معه إلا جمل واحد، وقد سألته كيف يُدبر الأمر فأخبرني أن ثلاثتهم يمشون أول يوم حتى إذا خفَّ الماء على الجمل امتطته بنته ثاني يوم، ثم ركبته زوجه في اليوم الثالث، فقلت له: هب أن الجمل أصابه شيء في الطريق، فقال: «الحماية من الله.» وأعطيته أرزًا ومكرونة وشايًا وسكرًا، فتركنا وهو سعيد بعد أن قرأ لنا الفاتحة. وتناول البدو طعامًا شهيًّا من الأرز ولحم الجمل وانقلبوا إلى فراشهم راضين، وكانت الليلة بديعة، فتركت خيمتي وقضيت أُوَيْقات هادئة في ضوء القمر الذهبي، والنجوم الباهتة في غمرة نوره الوضيء، وملأت نفسي سرورًا بذلك المنظر الممتع، وازددت شجاعة بنجواها الصامتة فعدت إلى فراشي ملآن ثقة وأملًا.

• الأحد ٢٥ مارس

قمنا الثامنة إلا ربعًا ووقفنا الثانية إلا ربعًا وقطعنا ٢٤ كيلومترًا، أعلى درجة للحرارة ٣٢ وأقلها ١٤، وهبت ريح قوية من الشمال الشرقي طول الليل، فلم تسكن إلا في منتصف الساعة الخامسة، وكان الغيم يحجب الشمس في الصباح، وأمطرتنا السماء رذاذًا عند الظهر، وتبددت السحب بعد الظهر، وكنا نمر طول الطريق بأكداس الحطب التي ازداد ارتفاعها كلما قربنا من البئر، وكان يتخلل تلال الحطب، بقاع رملية تتناثر عليها قطع صغيرة من الحجر الأسود، وأخذ الرمل يزداد نعومة حتى صار نديًّا على عمق بضع بوصات من سطح الأرض، وفي التاسعة وربع رأينا في الجنوب الغربي على بعد ٣ كيلومترات تلال «الوشكة»، وهي بئر صغيرة من مجموعة آبار «الظيغن»، وفي التاسعة والنصف اجتزنا على

اليسار «معطن بو حوَّاء»؛ وهي بئر ظيغن القديمة، ثم نصبنا الخيام على مقربة من أيك النخيل القائم على بئر الحرش، وهي أعذب آبار الظيغن، وليست بئر الصحراء تلك العين الجيدة الحفر المتينة الجوانب، التي رُبِط إليها دلو أو أُقيمت عليها مضخَّة، ولكنها حفرة قد قرب الماء من سطحها فسهل الوصول إليه بعد الحفر؛ لأن القافلة إذا تركت بئرًا في الصحراء، تراكمت الرمال عليها، وسدت منفذها فيتعب القادم الجديد في تطهيرها، ولم يضره ذلك؛ لأن سروره يكون شديدًا بنصيبه الوافر من الماء العذب، بعد أن ظل أيامًا لا يجد منه ما يزيد عن حاجته، يعد عمل الشاي ليتمكن من الاستحمام أو الحلاقة.

ولا يتخيلن القارئ أن بئر الصحراء ذات حوائط يقوم عليها علم من الأعلام، فما هي في غالب الأحيان إلا بقعة ندية من الرمل يحفرها البدوي فيخرج الماء منها على عمق ٣ أو ٤ أقدام.

وبعد مثل هذه «المرحلة» الطويلة يكون أول همِّ رجال القافلة أن يسقوا الجمال ويطعموها، ثم يكون أكبر همهم بعد ذلك غسل الأجسام والملابس، ويرجئون غسل الملابس إذا كان الماء قليلًا حتى يصلوا بئرًا ثانية، فإذا استراح الرجال ملأوا الْقِرَب وتركوها طول الليل، ثم تعهدوها في الصباح لمعرفة الناضج منها وفحص العيب فيها، ففصلوا رديئها عن جيدها، وبدءوا بشرب ما في الأولى يقينًا منهم بصلاح الباقي.

وتكون أولى الليالي التي تقضيها القافلة عند بئر – مهما كان نصيب أفرادها من التعب – ليلة أنس وسرور ورقص وغناء.

ويشعر الإنسان قبل الوصول إلى البئر أنه سيقيم عندها أربعة أيام أو خمسة، ناعمًا بوفرة الماء بعد حرمانه منه طويلًا، ولكن العجيب في الأمر، أن الإنسان إذا قضى يومًا فاستراح، تملكته حمى القلق وغَنِي عن الراحة والنعيم بجهل الطريق وقلة ما فيها من مناعم الحياة، واكتفى بالبلح الجاف، فأكله هنيئًا لا فرق في ذلك بين البئر الغزيرة الماء في الواحة المخصبة الملأى بملاذ الحياة وبين العين ذات الوشل.

ولا تزيد البئر بعد حفرها في غالب الأحيان عن متر مربع في مساحتها،

ويمسك الرمل الندي حيطانها فيتركها الإنسان حتى يقرَّ الرمل ويصفو الماء، وقلما يصبر البدوي حتى يروقه فيشربه عكرًا، وكم شربت من أكواب الماء العكر وكرعت منه في كوبة الزنك التي لا أبصر لها قرارًا، ولم أستعمل الراووق «الْفِلْتر» الذي اقترح عليَّ حمله بعض الأصدقاء حتى وصلت السودان، فإن الماء كان من الرداءة ووفرة القذى بمكان، وقد استعملته قليلًا ثم أهملته؛ لأني وجدت بعض أجزائه مفقودًا، وليست قذارة الصحراء كقذارة الجهات الأخرى، فإنها لا تُؤذي الصحة؛ لأن الرمل شيء نظيف وثياب البدو يتخللها الهواء، والحشرات وافرة لا يمكن الخلاص منها، ولكن البدوي اعتادها فأصبح لا يأبه لها.